مكتبة الأسرة
1999

مهرجان القراءة للجميع

الروائع

المختار من شعر خليل مطران



الهيئة المصرية العامة للكتاب

المختار من شعر خليل مطران

بالتعاون مع منظمة اليونسكو
(كتاب في جريدة)

المختار من شعر

خليل مطران

إعداد وتقديم

د. سمير سرحان   د . محمد عنانى

مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الروائع)

المختار من شعر خليل مطران

إعداد وتقديم: د. سمير سرحان   د. محمد عنانى

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان: محمود الهندى

المشرف العام:

د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة التنمية الريفية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

تصدير

لم يلق شاعر من كبار شعراء العربية فى القرن العشرين من التجاهل ما لقيه خليل مطران ، وليس من الصعب إدراك أسباب ذلك ، وأهمها وأوضحها طغيان شهرة معاصرية ، وعلى رأسهم شوقى وحافظ على شهرته ، وطغيان شهرته هو مترجماً لشيكسبير على شهرته شاعراً أصيلاً مبدعاً ! وهذا من المألوف فى آداب الأمم الأخرى أيضاً ، فإن بعض معاصرى شيكسبير لم يكونوا أقل منه عبقرية وإبداعاً فى عدد من مسرحياتهم وأشعارهم ، ولكن سطوع نجم شيكسبير وتعلق الإنجليز به تعلقاً غير عادى جعل أضواء معاصريه تخفت بالقياس إليه ، وكذلك كان الشأن لدينا فى الموسيقى مثلاً ، إذ طغت شهرة محمد عبد الوهاب وأم كلثوم فطمست (أو كادت) عبقريات ملحنين مبدعين ومطربين عباقره لا ذنب لهم إلا معاصرة هذين النجمين الساطعين . وما يزال صيت خليل مطران مقترناً بترجماته الرائعة والرائدة لبعض مسرحيات شيكسبير حتى كان الكثيرون - حتى عهد قريب - يدهشون حين يقرأون شعره !

والغريب والمدهش فى هذا أن خليل مطران يجمع بين روح الأصالة التى حمل لواءها قادة مدرسة الإحياء أو البعث ، منذ البارودى ، وبين روح التجديد والابتكار التى أشاعها أصحاب مدرسة أبولو الرومانسية ، وكان يشغل نفسه بشواغل العربية وقضيتها (أو قضاياها) انشغالاً يحسده عليه المتخصصون ، ويهتم بالمسرح اهتماماً يحسده عليه رجال المسرح فى عصرنا ، ولا غرو فإليه يرجع الفضل الأول فى إنشاء المسرح القومى فى مصر ، ولا يملك كل محب لفن المسرح إلا أن يشعر بالامتنان لذلك العمل الفريد .

أما أسباب طغيان شهرة شاعر على شهرة شاعر آخر فهى من أشق الأمور على الراصد ، إذ لا تقتصر على المزايا الفنية أو الفكرية بل تضم ما كان يسميه ماثيو أرنولد بالتقاء قوة الإبداع الفردى مع قوة اللحظة التاريخية ، ويدخل فى حسابها ما يسميه ألدوس هكسلى بعلاقة السوق ، التى تربط الكاتب أو الشاعر بالقارئ ، أما ما يعنيه أرنولد فهو أن الكاتب أو الشاعر الذى يصل إلى الناس فى اللحظة المناسبة تكبر صورته وتتضخم ، بل إنه يصبح جزءاً من هذه اللحظة نفسها ، وكان شوقى يدرك ذلك بحسه الفطرى فأنشأ قصيدته كبار الحوادث فى وادى النيل على مشارف القرن العشرين مذكياً بذلك روح الوطنية الناشئة ومستلهماً تاريخ مصر ، فربط نفسه بتاريخ مصر منذ البداية ، وكذلك شُغل حافظ إبراهيم بقضية الاستقلال والوطنية المصرية والنهضة المرجوة ناظراً إلى بناة

الأهرام والأجداد العظام ، وأما ما يعنيه هكسلى فهو إدراك الكاتب أو الشاعر لما يريده القارئ ، وبذله الجهد اللازم للاستجابة إلى حاجاته - صريحة أو مضمرة - وكان يعرف أن الحاجة الأولى هى جمال الصياغة فى إطار البيان والبديع والمحسنات اللفظية ، وصياغة الأبيات التى يسهل حفظها وترديدها لأنها أشبه بالحكم والأمثال السائرة ، فبز فى ذلك حافظاً وتخطاه ، وكان يعرف بفطرته ما قال به كولديدج من أن الشاعر يسهم فى إيجاد «الحاجة» إلى شعره ، وفى تكوين القدرة على تذوق فنه، فهو يقدم إليهم جرعات تمتزج فيها الأنماط التقليدية التى اعتادوها بالأنماط الجديدة التى يريد لهم أن يتقبلوها ، وتوسل فى ذلك بأسلوب مبتكر هو صوت العبقرى محمد عبد الوهاب ، الذى تمكن بألحانه (التى اتبع فيها أسلوب المزج المذكور نفسه) من الوصول إلى نفوس القراء وعقولهم ، فالأذن هى الباب الذى يدخل منه الشعر إلى النفس والعقل ، ولو لم يَشْدُ عبد الوهاب بأشعار شوقى ما كُتب لها أن تلقى ما لقيت من ذيوع ، بل إن محمد القصبجى عندما أراد إقناع أم كلثوم بأن يلحن لها قصيدة ، لم يجد سوى شوقى ينتخب منه بعض الأبيات ، ولما غنتها أسمهان غضبت أم كلثوم ، وكان مطلع هذه القصيدة الفريدة :

هل تيّم البان فؤاد الحمام ... فناح فاستبكى جفون الغمام
هل شفه ما شفنى فانثنى ... مبلبل البال شريد المنام

ولو لم يسمع الناس هذه القصيدة من أسمهان ما عرفوا هذا الصانع الماهر ، وكذلك كان حظ إبرهيم ناجى حين غنت له أم كلثوم (الأطلال) وغنى له عبد الوهاب (القيثارة) وحظ حافظ إبرهيم حين غنت له أم كلثوم (مصر تتحدث عن نفسها)-وحظ على محمود طه حين غنى له عبد الوهاب (فلسطين والجندول وكليوباترا) مثلاً ! وقس على ذلك حظوظ غيرهم ممن لم يُغنّ لهم أحد ، أو ممن نالوا شهرة محدودة بسبب عدم اتصالهم بآذان الجمهور !

إن «موضوعات» خليل مطران لا تختلف كثيراً عن موضوعات شوقى وحافظ ، فهو غزير المراثى وشعر المناسبات والإخوانيات والغزل والنسيب والوطنيات ، وما إلى ذلك ، ولكنه لم يكن يهتم بتلك الأسباب التى ذكرناها ، وظل شعره حبيس ديوانه ، قد تتسرب منه قصيدة أو قصيدتان إلى «المناهج الدراسية» فيطلع عليها النشء ، ولكنها تظل محتجبة عن الآذان !

كان مطران مجدداً فى كل شئ - فى الموضوعات والأشكال الشعرية، فكان من أوائل الشعراء العرب الذين اهتموا بالطبيعة ، مع قادة مدرسة أبولو ، فكتب عن الأزهار والطيور وتحدث عن العواطف المشبوبة.

الشخصية والعامة ، وكان يقترب فى ذلك من مذهب مدرسة الديوان - العقاد والمازنى وشكرى -ولكنه كان يطمح دائماً إلى التجديد ، فكتب ، على نحو ما يتضح من هذه المختارات التى تفخر مكتبة الأسرة بتقديمها

إلى القارئ العربى لأول مرة ، فى أشكال شعرية جديدة ، لعل أجسرها هو قصيدة النثر !

ولد خليل مطران عام ١٨٧١ فى بعلبك - لبنان - وتلقى دراسته الأولى فى مدرسة ابتدائية فى زحلة ، ثم انتقل إلى المدرسة الكاثوليكية فى بيروت حيث استقى اللغة العربية من مناهلها الفياضة على أيدى أبناء أسرة اليازجى (خليل وإبراهيم) وتعلم الفرنسية فأجادها إجادة نادرة ، واشترك فى شبابه فى الكفاح الوطنى من أجل الاستقلال عن الدولة العثمانية ، فتعرض لغضب السلطان العثمانى واضطر إلى الفرار إلى باريس فى عام ١٩٠٠ ، وهناك درس الأدب الفرنسى ونشط للترجمة عن الفرنسية إلى العربية ، ثم لم يلبث أن هاجر إلى مصر فى عام ١٩٠٢ وظل بها حتى توفى عام ١٩٤٩ .

وعلى الرغم من اشتغال مطران بالحياة العامة فى مصر وعمله ذى الجوانب المتعددة - كما يقول الدكتور محمد مصطفى بدوى - بالصحافة والتمويل والتجارة و «الاقتصاد الزراعى - فإنه لم يستطع تحقيق (الصورة) الجماهيرية للشاعر التى كان (العصر) يتطلبها ، فكان كثير التنقل بين مصر والشام ، ولهذا لُقّب بشاعر القطرين ، وكان يلقى أشعاره فى الحفلات العامة ، ويكتب فى التاريخ والفلسفة الأخلاقية ، دون أن ينافس شوقى مثلاً منافسة حقيقية على المستوى الجماهيرى - كما نقول بتعبير هذه الأيام ! والناظر فى هذه المختارات من ديوانه الضخم (أربعة أجزاء)

سوف يرى مـدى التجـديد الذى نجح فى تحقـيقه ، وذلك بـعد أن أثبت قدرته الفـائقة على النظم التقليـدى ، فأخرج قصـيدة نيرون ذات القافـية الموحدة ، والتى يبلغ عدد أبياتها ٣٢٦ بيـتاً ، ولذلك لم يتردد فى كتابة قصيدة النثـر فى رثاء الشيخ إبراهيم اليازجى ، إذ لن يتهمـه أحد بالعجز عن النظم أو الخـوف من قيـد القـافيـة . ولعل أبلغ مـا نختـتم به هذا التصـدير هو تصديره هو لقـصيدته الـطويلة التى لم نستطع إدراجـها فى المختارات وإلا ابتلعت نصف صفحات الكتاب .

يقول مطران لسامعيه قبل القاء القصيدة المذكوره :

تعلمون أن الشعر العربى ، إلى هذا اليوم ، لم تنظم فيه الـقصائد المطولات الكبر فى الموضـوع الواحد ، وذلك لأن التزام القافية الواحدة كان، ولم يزل ، حائلاً دون كل محاولة من هذا القبيل ، وقد أردت ، بمجهود نهائى ختامى أبذله ، أن أتبين إلى أى حـد تـتـمـادى قـدرة الناظم فى قصيدة مطولة ذات غرض واحـد ، يلتزم لها روياً واحداً ، حتى إذا بلغت ذلك الحـد بتجربتى بـينت عندئذ لإخوانى من الناطقين بالضـاد ضرورة نهج مناهج أخـر لمجاراة الأمم الغربيـة فيما انتـهى إليها رقيـها شعراً وبيـاناً . وفى لغتنا الشريفـة معوان على ذلك ، وأى مـعوان ، إذا أقلعنا عن الخطة التى صلحت لأوقاتها السـالفات ، إذ كانت أغراض

الشعر فيها قليلة محدودة ، ولكنها أصبحت لا تصلح لهذا الوقت الذى بعدت فيه مرامى الألباب ، وصار فيه ، بفضل البرق والبخار وسائر أعاجيب الاختراع ، كل أفق بعيد قريباً ، كأنه وراء الباب .

بل قد أقول وليتنى أوفق ، فى بعض ما سأنشده ، إلى إقامة دليل ، وإن قل فى شعرى ، على أن اللغة العربية ، التى تجود علينا هذا الجود وأيديها مغلولة عن العطاء بتلك الأغلال الثقيلة ، قادرة - متى فكت عنها الربط - على فتح أبواب كنوزها التى لا نهاية لها ، ومنح شعرائها - من فرائد المفردات ، وبدائع الجمل ، وروائع الاستعارات - ما يبقى لها المقام الأول فى الإعجاز .

أردت - بحق السن ، وبحق المران المتصل ، والارتياض القديم على قرض الشعر - أن أتمشى فى طريقى هذا الجديد بعد أن أكون قد أثبت ، بنهاية المستطاع ، أن الأسلوب الحديث لم يتخذ لعجز عن النظم بالقافية الواحدة، بل لرغبة فى نوع آخر من النظم ، يفتح فى وجه والجه أقصى الآفاق ، وييسر له أسباب الوصول إلى أسمى الأغراض ، ويرد على اللغة - من الحياة والقوة - ما تعود به عاملاً بين أكبر عوامل الرقى فى الأمم .

بعـد أن استـقر عـزمى علـى هذا ، رجع إلى ذهنى موضوع تاريخى رائع كنت قد نظمت فـيه أبياتاً محدودة ثم تركت الاشتغال به لما بدا لى من وعورة مسالكه ، ومن أن استيفاء أغراضى فيه يدعو إلى التوسع وراء ما يجوز للناظم بالقافية الواحدة أن يفكر فـيه . غير أننى ، بعد أن أعدت النظر على القليل الذى كنت قد نظمته ، استعنت الله على الإكمال .

والآن ، يا سادتى ، سأقـرأ لكم أكبر قصيدة مـتحدة الروى ومتحدة الموضوع عرفتها اللغة العربية . هى الكبرى بعدد أبياتها ، وبالغرض الذى نظم له ذلك العدد ، ولكن مـا أدرى أية قيـمة لهـا سوى العـدد . أتيت بمجهـود فى التماس غاية ، وما أتيت بآية .

وهذا التواضع الجم إن دل علـى شئ فإنما يدل على صدق الشـاعرية وعمقها .

وسوف يجد القارئ فى هذه المختارات ، التى يسعد مكتبة الأسرة أن تقدمهـا لأول مرة ، كل ممتع بهيج ، وكل جديد مـثير ، على الرغم من انقضاء نصف قرن على رحيل هذا العبقرى .

والله من وراء القصد ،

مكتبة الأسرة

١ بدر وبدر

حَسْنَاءُ لَكِنْ نَفُورُ   بَادٍ عَلَيْهَا الفُتُورُ
إِذَا رَنَتْ غَارَ مِنْهَا   فِي الْحَيِّ عِينٌ وَحُورُ(١)
وَإِنْ تَمِسْ فَإِلَيْهَا   مُنَى النُّفُوسِ تَطِيرُ
لاَ تَكْسِرُ الجَفْنَ إِلاَّ   وَقَلْبُ صَبٍّ كَسِيرُ
وَلاَ تَبَسَّمُ إِلاَّ   وَجَفْنُ بَاكٍ يَمُورُ(٢)
وَلاَ تَلَفَّتُ إِلاَّ   وَجِيرَةُ الحَيِّ صُورُ(٣)
يَا قُرَّةً لِعُيُونِي   فِي الصَّدْرِ مِنَّا سَعِيرُ
كَمْ جِئْتُكُمْ مُسْتَزِيراً   وَطَيْفُكُمْ لاَ يَزُورُ(٤)

---

(١) رنت : نظرت . حور : الحور ذوات العيون الجميلة .
(٢) يمور : يسيل .
(٣) صور : مائلة أعناقهم .   (٤) مستزيراً : طالباً الزيارة .

إِنْ كَانَ صَبْرِى قَلِيــلاً فَإِنَّ وَجْدِى كَثــيــرُ
لَيْسَ الْمُحِبُّ صَدُوقــاً فِى الْحُبِّ وَهْوَ صَبُورُ
يَابَدْرُ سُمِّيــتَ بَدْراً وَأَيْنَ مِنْكَ الْــبُدُورُ ؟
أَيْنَ الْجَمَادُ مُنِــيراً مِنْ ذِى حَيَاةٍ يُنِــيرُ ؟
أَيْنَ الــصَّبَاحَةَ فِيــهِ وَأَيْنَ مِنْهُ الــشُّعُــورُ ؟
أَيْنَ الــسَّنَى وَهْوَ شَيْبٌ مِنَ الــصِّبَى وَهْوَ نُورُ ؟
لَمْ أَنْسَ حِينَ الْتَــقَــيْنَا وَالــرَّوْضُ رَاهٍ نَضِيــرُ
إِذِ الْعُــيُــونُ نِيَــامٌ وَالــلَّيْلُ رَاءٍ حَسِيــرُ(1)
وَفِى الْــهَــوَاءِ حَــنِينٌ مِنَ الْــهَوَى وَزَفِــيرُ
وَلِــلْمِــيَاهِ أَنِــينٌ تَذُوبُ مِنْهُ الْــصُّخُورُ
وَلِــلنَّسِــيمِ حَــدِيثٌ عَلَى الْمُرُوجِ يَدُورُ
وَلِلأَزَاهِــرِ فِــكْــرٌ يَرْوِيــهِ عَنْهَا الْــعَبِــيرُ
تَدْنُو إِلَــيْــهِ فَــتَــلْقِي تَحِــيَّةً وَتَسِيــرُ

(١) والليل راء حين : يراد به الليل الذى رقت ظلمته فشفت عن ضياء ضئيل كرؤية الأحسر ذى النظر الضعيف .

لَهْفِي عـليــــه زمـــانـاً   ولَّى فَوَلَّى الــــــــــسُّرُورُ
مَضَى قــــصــيـــراً ولـكن   لِلسَّعْدِ عَهْدٌ قَصِيـــــــــرُ

٢ الزهر

أهديت إلى إحدى عقائل المجد من السيدات المحسنات فى باريس

آذَنَتِ الشَّمْسُ بِالتَّوَارِى   وَقَدْ طَوَتْ رَايَةَ الأَصِيلِ
وَأَقْبَلَتْ زِينَةُ الدَّرَارِى   تَشْفِى بِلأْلاَئِهَا الْغَلِيلِ

❁

كَمْ كَوْكَبٍ فى الظَّلاَمِ يَبْدُو   لَكِنَّهَا رَبَّةُ النُّجُومِ
لَهَا جَوَارٍ مِنْهَا وَجُنْدُ   كَجَوْهَرٍ حَوْلَهَا نَظِيمِ
هَوَاؤُهَا عَنْبَرٌ وَنَدٌّ   غِذَاؤُهَا النُورُ وَالنَّعِيمِ
تَسْرَحُ مَنْشُورَةَ الرِّدَاءِ   فِى مَسْرَحِ اللَّهْوِ والذُّهُولِ
خَائِضَةٌ أَبْحُرَ الهَنَاءِ   فِى نَسَمٍ كُلُّهَا قَبُول

❁

لَكِنَّهَا غَادَةٌ غَيُورُ   – وأَيُّ حَسْنَاءَ لاَ تَغَارْ – ؟
فَرُبَّمَا سَاءهَا نَظِيرُ   تَرَى غَدِيراً بِهِ استَنَارْ
فَكَادَ مِنْ لَحظِهَا يَثُورُ   نَبْعٌ طَفُورٌ مِنَ الشَّرَارْ
مَنْ يَخْلُ مِنْ شَاغِلِ الْعَنَاءِ   فَوَهْمُهُ الشَّاغِلُ الثَّقِيلْ
رَسْمُكِ هَذَا فِى حَوْضِ مَاءِ   يَامَنْ تَنَزَّهْتِ عَنْ مَثِيلْ

هَوَاكِ عَذْبٌ بِلاَ عَذَابِ   ومِنْكِ تَخْلُو لَنَا الشُّجُونْ
وَفِيكِ ضَوْءٌ بِلاَ الْتِهَابِ   تَقَرُّ مِمَّا صَفَا الْعُيُونْ
وَحَبَّذَا أَنْتِ فِى اضْطِرَابِ   وَحَبَّذَا أَنْتِ فِى سُكُونْ
كَلَمْعَةِ السَّعْدِ فِى الشَّقَاءِ   كَدَمْعَةِ الوَجْدِ فِي المَسِيلِ
كَالبِكْرِ بِالحُسْنِ والْحَيَاءِ   وَغَضُّهَا طَرْفَهَا الكَحِيلِ

٣ الوردتـــان

اطلعت على الموشحة الآنفة آنسة شرقية من أوانس البيوتات المشهورة .. فبدا للناظم أنها تتمنى أن ينظم مثلها ويهديها إليها. فأجابها إلى ما تمنت

تَبَـــارَكَ اللهُ فَهْـــوَ لَمَّـــا أَرَادَ أَنْ يُبْـــدِعَ الـــكِيَانْ
أَبْـــدَاهُ فِكْـــرَهُ ، وَلَمَّـــا يَقُـــلْ لِمَـا شَـــاءَ كُنْ فَكَانْ

❀

فَجَاءَ ذَا الـــعَالَمُ الـــعَظِـــيمُ لَفْظـــاً لِفِكْرٍ تَصَـــوَّرَهْ
أَلـــشَّمْسُ وَالأَرْضُ وَالـــنُّجُـــومُ مِـــنْ مُظْلِمَـــاتٍ وَمُبْصِرَهْ
كَأَحْرُفٍ سِفْرُهَـــا الرَّقِـــيمُ مُذْهَبَـــةٍ أَوْ مُحَـــبَّرَهْ(١)
جَمِيـــعُهَا اسْمٌ وَهْوَ الْمُسَمَّى فِي سَعَةِ الخَلْقِ وَالـــزَّمَانْ

---

(١) سفرها الرقيم : كتابها فضاء السماء .

وَكُلُّ حَرْفٍ حَوَى لَهُ اسْمـاً   يَضِيقُ عَنْ ضَمِّهِ المَكَانْ
وَنَوَّرَ اللهُ بِابْتِسَامِ   تَمْثِيلُهُ الْبَاهِرُ البَدِيعْ
وَزانَ مَا فِيهِ مِنْ نِظَامِ   بِكُلِّ ضَرْبٍ مِنَ البَدِيعْ
فَعَقَّبَ الشَّمْسَ بِالظَّلاَمِ   وَدَبَّجَ العَامَ بِالرَّبِيعْ
وَأَنْهَضَ الشَّاهِقَ الأَشَمَّا   وَأَقْعَدَ الْغَوْرَ فَاسْتَكَانْ(١)
وَمَدَّ مِنْهُ جَرَى خِضَمّاً   وَتَحْتَهُ النَّارُ فِى أَمَانْ(٢)

❁

يَا رَبِّ أَعْظِمْ بِمَنْ وَضَعْتَ   فِى الْكَوْنِ مِنْ آيِكَ الْعِظَامْ(٣)
أَدَقُّ شَىءٍ مِمَّا صَنَعْتَ   كَجُمْلَةِ الخَلْقِ بِالتَّمَامْ
وَكُلُّ جُزْءٍ بِهِ جَمَعْتَا   عَجَائِبَ الْكُلِّ حَيْثُ قَامْ
نَثَرْتَ نَثْراً فَجَاءَ نَظْمًا   بَدِيعُهُ حِلْيَةُ الْبَيَانْ
لَكِنَّ فِى صُنْعِكَ الجَلِيلِ   أَحَبُّ شَىءٍ لَنَا الزَّهَرْ

---

(١) الشاهق الأشم الجبل العالى . الغور : المتطامن من الأرض .
(٢) خضماً : بحراً .
(٣) آيك : آياتك .

خَلَقْتَهُ نهْجَةَ العقول وَمَرْتَعَ النَّحْلِ وَالفِكَرُ
نَكَادُ مِنْ خَلْقه الجميل نَسْتَجْمِعُ النَّفْسَ فِى البَصَرَ
عَبِيرُهُ لا يُمَلُّ شمّا يَرَوِّحُ القَلْبَ وَهْوَ غان
وَنُورُهُ قَد يقال فهماً لِمَا يُرَى فِيه مِنْ مَعَانْ

❁

طَوَائِفٌ هذهِ الأزَاهِر وَكُلُّ حِزْبٍ لَهُ أَمِيرْ
مَلِيكُهَا الورد لا يكابر مناظِرٌ فِيه أَوْ نَظِيرْ
تَقَلَّدَ التاجَ من جوَاهِر وَقَامَ لِلحكْمِ فِى السَّرِيرْ
لَكِنْ يقولُونَ جُرْتِ ظُلْماً فِي الزَّهْرِ يَا وَرْدَةَ الجِنَانْ
لأنْتِ أَبْهَى وأَنْتِ أَسْمَى مِنْ أَنْ تُقِيمِى لِلْعَدْلِ شَانْ

❁

خُلِقْتِ بَيْضَاءَ كَالرَّجَاء فَهَامَ فِى حبِّك النَّسِيمْ
فَرَاحَ مُذْ دَارَ فِى الفضَاءِ مُقَبِّلاً ثَغْرَكِ الوَسِيمْ
فَبِتِّ فِى حُمْرَةِ الحَيَاء لِذَلِكَ المُنْكَرِ الجَسِيمْ

ذَنْبٌ تَحَلَّلْتُمَاهُ قِدْمَا فَلَبِثَ الْوَرْدُ وَهْوَ قَانْ[1]
كَذَاكَ جَاءَتْ حَوَّاءُ إِثْمَا فَعُوقِبَ النَّسْلُ غَيْرُ جَانْ

❁

فَدَتْكِ مَهْمَا كَسَبْتِ وِزْرَا أَزَاهِرُ الرَّوْضِ وَالحِجَالْ[2]
أَلاَ فَتَاةً أَجَلَّ قَدْراً كَرِيمَةَ الخُلْقِ وَالخِلاَلْ
تَبَرُّ بِالْبَائِسِينَ بِرّاً وَتَشْتَرِى أَنْفُساً بِمَالْ
كِلْتَاكُمَا ، وَرْدَةٌ تُسَمَّى لَكِنَّهَا وَرْدَةُ الحِسَانْ
وَأَفْضَلُ الْوَرْدَتَيْنِ حُكْماً جَمِيلَةُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانْ

---

(١) قان : أحمر .

(٢) كسبت وزراً : جنيت ذنباً . الحجال : مقصورات النساء .

٤ تهنئـــة

لسمو الخديو عباس الثانى على أثر فتح السودان

أَلـــنِّيـــلُ عَبْدُكَ وَالمِيَاهُ جَوَارِى بِاليُمْنِ وَالبَرَكَاتِ فِيـــهِ جَوَارِ[1]
أَمَّنـــــــتَهُ بِمَعَاقِلٍ وَجَوَارِى وَجَعَلْتَهُ مُلْكـــا عَزِيـــزَ جِوَارِ[2]
أُنْظُرْ سَفَائِنَكَ الَّتِى سَيَّرْتَهَا فِيــــــهِ كَأَطْوَادٍ عَلَى الـتَّيَّارِ
تَجْرِى «بِسَيِّدِ مِصْرَ» فُلْكٌ ضَمَّهَا فُلْـــكٌ مِنَ الـــدَّأْمَاءِ غَيْرُ مُدَارِ
سَيَّارَةٌ جُنْحَ الـظَّلَامِ مُنِيـــــرَةٌ فِى الأُفقِ مِثْلَ الـكَوْكَبِ السَّيَّارِ
أَو يَسْتَقِلُّ بِهِ مُغِيـــــرٌ مُنْجِدٌ جَوَّابُ آفَاقٍ كَبَرْقٍ وَارِي
تَتَقَذَّفُ الـنِّيـــرَانُ مِنْهُ كَأَنَّهُ أَسَدٌ مُثَارٌ فِى طِلابَةِ ثـــــارِ
سِرْ كَيْفَ شِئْتَ لَكَ القُلُوبُ مَنَازِلٌ أَنَّى انْتَقَلْتَ فَمِصْرُ فِى الأَمْصَارِ

---

(١) جوارى : خوادم . (٢) جوارى : سفن .

أَهْلاً بِرَبِّ النِّيلِ وَالوَادِى بِمَا فِيهِ مِنَ الأَرْيَافِ وَالأَقْطَارِ
بِالعَازِمِ العزمَات وَهْيَ صَوَادِقٌ وَمُعَاقِبِ الظُّلُمَاتِ بِالأَسْحَارِ
بِالفَاتِحِ البَانِى لِمِصْرَ مِنَ العُلَى صَرْحاً يُزَكِّى شَاهِدَ الآثَارِ
وَمُعَقِّبِ الفَخْرِ التَّلِيدِ بِطَارِفٍ لَوْلاَهُ كَادَ يَكُونَ سُبَّةَ عَارِ
فَخْرٌ تَحَوَّلَ مَهْدُهُ لَحْداً لَهُ زَمَناً وَعَادَ اليَوْمَ مَهْدَ فَخَارِ

٥ الى

جميـــــلة أديبـة

يَا عيُوناً تَسْقى العيُونَ الـرَّحِيـقَا   وَاصِلِي مُدْمِناً أَبَى أَنْ يُفـــيِقَا(١)
أَسْكِرِيـنـى عَلَى الـدَّوَامِ وَأَفْنِى   مُهْجَتِى أَدْمُعـاً وَعَزْمِى حَرِيـقـاً
تِلْكَ خَمرُ الْحـيَاةِ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا   مرة لَيْسَ بِالحَيَاةِ خَلِيــــــــقَا
وَهْىَ حُسْنُ الْحيَاةِ سَعْداً وبُؤساً   وَاصْطِبـاحــاً لِشَرْبِهَا وَغَبُوقَا(٢)
أَنْتِ يَا مَنْ سَقَتْ فُؤَادِىَ مِنْهَا   حَرَّ وَجْدٍ وَلَوْعَة وَخُفُوقَا
إِظْلمِـينِى مَا شَاءَ ظُلْمُكِ وَانْهِى   آمِرَ الحُسنِ أَنْ يكُونَ شَفــــِيقَا
عَذِّبِيـنى فَقَدْ جَنَيْتُ عَلَى نَفْســ   ـسى وَأَمْسَيْتُ بِالْعِقَابِ حَقِيــقَا
فَلِهَذَا الْعِقَابِ عَاوَدْتُ حُبِّى   وَلأَلْقَاهُ خُنْتُ عَهْداً وَثِيــــقَا

(١) الرحيق : الخمر . مدمناً ، المدمن : دائم السكر .

(٢) شربها : شاربيها . الاصطباح والاغباق : شرب الصباح وشرب المساء .

رُبَّ لَيْلٍ مُحَيِّــــرُ النَّجْمِ غَضٍّ   فِيـهِ لاَ يَهْتَدِى الضُّلُولُ طَرِيـقـاً
ضَمَّنِى مُثْقَــــلاَ بِهَمِّى كَبَحْرٍ   ضَمَّ فِى جَوْفِهِ الْبَعِيـــدِ غَرِيقَا
أحْسِبُ السُّرْجَ فِى حَشَاهُ قُرُوحًا   وَأَرَى الـشُّهْبَ فِى سَمَاهُ حُرُوقَا
فِيـهِ نَامَتْ «سُعَادُ» نَوْمًا هَنِيـئـاً   وَتَسَهَّــــدْتُ مُسْتَهَامًا مَسُوقَا

❁

حَيْثُمَا وارَتْنِى دُجَاهُ غُرُوبــــاً   أَبْصَرَتْنِى عَيْنُ الـــصَّبَاحِ شُرُوقَا
قَدْ تَلَقَّيْتُهُ وَكَانَ كَثِيــــفـــاً   ثُمَّ وَدَّعْتُهُ وَكَانَ رَقِيـــــقَا
رَقَّ فَانْحَلَّ فَانْتَفَى غَيْرَ مُبْقٍ   لِيَ مِنْهُ إلاَّ خَيَالاً دَقِـــيــقَا
ظَلَّ فِى جَانِبِى نَحِـيلاً نُحُولِى   كَالشَّقِيقِ الأَبَرِّ يَرْعَى شَقِيـقَا

❁

أَيُّهَا الـنَّائِــمُونَ يَهْنِيكُمُ الــنَّوْ   مُ وَلاَ زَالَ حَظِّىَ الـتَّأْرِيــقَا
إِنْ يَكُ السَّاهِرُونَ مِثْلِى كَثِيـراً   «فَسُعَادٌ» أَسْمَى وَأَسْنَى عَشِيقَا[1]
فَاتَنِى مِنْ جَمَالِهَا الْوَجْهُ طَلْقـاً   لاَ يُبَاهَى ، والْقَدُّ لَدْناً رَشِيـقَا

---

(١) عشيقاً : معشوقة .

فَاتِنِى عَقْلُهَا الَّذِى يُبْدِعُ الْخَا طِرَ روحًا وَهَيْكَلاً وَعُرُوقَا
فَاتِى نَظْمُهَا الْقَرِيضَ كَمَـا تَنْظـ ـظِمُ عِقْداً فِى جِيدِهَا مَنْسُوقَا(١)
فَاتِنِى لُطْفُهَا الَّذِى يُنْعِشُ الوَجْـد ولَوْ شَاءَ أَنْعَشَ التَوْفِـيـقَا
ويَقِيمُ الآمَالَ فِى الـنَّفْسِ كَالـنُّو رِ يُحِيـلُ الْبُذُورَ زَهْراً أَنِيـقَا(٢)
فِتَنٌ قَيَّدَتْ بِهِنَّ فُؤَادِى ، وأَرَانِي - إِذَا شَكَوْتُ - عَقُوقَا
كُلُّ مُسْتَأْسَرٍ يَوَدُّ انْطِلاَقـاً وَشَقَائى بِأَنْ أَكُونَ طَلِيـقَا

---

(١) القريض : الشعر .
(٢) أنيقاً : جميلاً .

٦ النرجسة

دَاعٍ دَعَاهُ إِلَى الْجِهَادِ فَأَزْمَعَا سَفَراً وَجَادَ بِنَفْسِهِ مُتَطَوِّعَا
غَلَبَتْ حَمِيَّتُهُ هَوَاهُ لِعِرْسِهِ فَنَأَى وَوَدَّعَ قَلْبَهُ إِذْ وَدَّعَا(١)
وَقَضَتْ «أَمِيـــنَةُ» بَعْدَهُ أَيَّامَهَا فِي الحُزْنِ غَيْرَ أَمِيـنَةٍ أَنْ تُفْجَعَا
غَـــرَسَتْ بِصَحْنِ الدَّارِ زَهْرَةَ نَرْجِسٍ لِتَكُونَ سَلْوَتَهَا إِلـــى أَنْ يَرجِعَا
كَانَتْ تُبَالِغُ فِي رِعَايَتِهـــا كَمَا تَرْعَى عُيُونُ الأُمِّ طِفْلاً مُرْضَعَا
حَتَّى إِذَا مَا جَاءهَا عَنْ بَعْـــلِهَا نَبَأٌ أَصَمَّ المِسْمَعَيْنِ وَرَوَّعَا
شُقَّتْ مَرَارَتُهَا عَلَيْهِ وَأَوْشَكَتْ مِنْ هَوْلِ ذَاكَ الخَطْبِ أَنْ تَتَصَدَّعَا
وَكَـــأَنَّ ذَاكَ الرُّزْءَ قَبْلَ وُقُوعِهِ مِمَّا شَجَاهَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعَا(٢)
فَتَفَقَّدَتْ صُبْحـــاً أَلِيـــفَتَهَا الَّتِي كَانَتْ سَلْتَهَا حَسْرَةً وَتَوَجُّعَا
فَإِذَا نَضَارَتُهَا ذَوَتْ وَكَأَنَّهَا عَيْنٌ أَسَالَ الحُزْنُ مِنْهَا مَدْمَعَا

(١) عرسه : عروسه .
(٢) الرزء : المصاب .

٧ الحمامتان

حديث واقعة شهدها الناظم فى ليلة سهاد فكتبها وجعلها وسيلة استعطاف

يَا مَــــنْ أَضَاعُــــوا وِدَادِى رُدُّوا عَلَــــىَّ فُـــؤَادِي
رُدُّوا سُرُوراً تَـــــقَضَّى وَمَا لَـــهُ مِنْ مَعَـــادِ
أَشْــكُو إِلَى اللهِ ســــقْمِي فِى بُعْـــدِكُمْ وَسُــهَادِى
هَذَا شَقَائِـــى فِيــكُمْ يَا غِبْطَـــةَ الْحُسَّـــادِ

❁

وَلَيْلَةٍ بِــتُّ فِيــــهَا وَقَدْ جَفَـــانِى رُقَـــادِى
تُفْنِـــى الـــدَّقَائِقُ قَلْبِى وَرْيـــاً كَوَرْى الــزِّنَادِ(١)
مِنَ الـــصَّبَابَةِ مَهْـــدِي وَمِــنْ سَقَامِــى وِسَـــادِى(٢)

(١) ورى الزناد : قدح الزناد .
(٢) وسادى : فراشى .

رَاعَــــتْ حَشَــــاىَ بِنَوْحٍ حَمَامَــــةٌ فِــــى ارْتِيَــــادِ
مُرْتَاعَــــةٌ لأِلِــــيفٍ لَمْ يَــأتِ فِــي الميــــعَادِ
تَــــرُنُّ إِرْنَانَ ثُكْلَــــى مَفْــــقُودَةِ الأَوْلاَدِ
والــلَّيْــلَ دَاجٍ كَثــــيفٌ كَــــأنَّه فِــي حِــدَادِ
تَرُوحُ فِيــــهِ وتَغْــدُو كَثــــيــــرَةَ الــتَّرْدَادِ
مَــا بَيْنَ غُصْــنٍ وَغُصْنٍ لــــهَا طَــوَافُ افْتِقَــادِ
وَلَــمْ تَزَلْ فِــى هــيَامٍ وَحَــيْرَةٍ وَجِهَــادِ
حَتَّــى اسْــتَقَرَّتْ عَيَــاءً مِنْ وَثْبِهــا المُتَــمَادِي
مُنْحَلَّةَ الْعَــزْمِ لَيْسَــتْ تَقْــوَى عَلَــى الإِنْشَــادِ
ظَمْأَى إِلَى المَــوْتِ رِيًّــا مِــنَ الأَسَــى وَالْبِعَــادِ(١)
وَكَانَ يَسْعَى إِلَيْهَــا أَلِــيفُهَــا غَيْرَ هَــادِي
يَرْتَــادُ كُــلَّ مَكَــانٍ فِــى إِثْرِهَــا وَهْــوَ شَــادِي
حَتَّــى إِذَا سَــمِعَتْهُ بِالْقُــرْبِ مِنْهَــا يُنَــادِي

(١) ريا : مرتوية .

عَادَ الرَّخَاءَ إِلَيْهَا لَكِنْ بِغَيْرِ مُفَادِ
إِنَّ الرَّجَاءَ مُعِينٌ وَمَا الرَّجَاءُ بِفَادِ
هَمَّتْ تَطِيرُ إِلَيْهِ لَكِنْ عَدَتْهَا عَوَادِي
فَوَدَّعَتْهُ بِنَوْحٍ مُفَتِّتِ الأَكْبَادِ
وَكَانَ آخِرَ سَجْعٍ لَهَا عَلَى الأَعْوَادِ

❁

يَا مَنْ نَأَوْا عَنْ عُيُونِي وَرَسْمُهُمْ فِي السَّوَادِ
وَأَجْهَدُوا الفِكْرَ وَثْباً إِلَيْهِمُ فِي الْبِلاَدِ
واسْتَنْفَدُوا زَفَرَاتِي وَأَدْمُعِي وَمِدَادِي
إِلَى مَ أَغْدُو حَزِيناً فِي غُرْبَةٍ وَانْفِرَادِ ؟
لِي فِي الْحَيَاةِ مُرَارٌ وَأَنْ أَرَاكُمْ مُرَادِي
لاَ تَجْعَلُوهُ وَدَاعِي عِنْدَ المَمَاتِ وَزَادِي

٨ تقـــريظ

لديوان شوقي

ضَمِنْتَ لِهَذَا الـعَهْدِ ذِكْراً مُخَلَّدَا وجَدَّدْتَ لِلإِسْلاَمِ مُعْجِزَ أَحْمَدَا
وَبِتَّ لِمِصْرٍ بِالْمَفَاخِرِ مُحْتِداً وَمِنْ قَبْلُ كَانَتْ لِلْمَفَاخِرِ مَحْتِداً
أَطَافَ بِهَا لَيْلَ مِنَ الجَهْلِ حَالِكٌ وَصُمَّتْ بِهَا الأَسْمَاعُ عَنْ دَعْوَةِ الْهُدَى
فَإِنْ قَلَّبَ المَحْزُونُ فِي الأُفْقِ طَرْفَهُ فَلَيْسَ يَرَى إِلاَّ ذَكَاءكَ فَرْقَدَا
وَمَنْ تَدْعُهُ يَرْدُدْ نِدَاءكَ لاَ يُجِبْ كمـا رَجعَ الصَّخْرُ الأَصَمُّ لَكَ الصَّدَى

❁

لَكَ اللهُ مِنْ شَاكٍ عَنِ النَّاسِ دَهْرَهُمْ عَلَى حِينَ لَمْ يَشْكُوا وَقَدْ جَارَ واعْتَدَى
وَمِنْ سَاهِرٍ يُفْنِي مَنَارَ حَيَاتِهِ ضِيَاءَ لِيـــهْدَى غــــافِلِينَ وَرُقَّدَا
وَمِنْ نَاظِمٍ لِلْمُلْكِ تَاجَ فَرَائِدٍ مِنَ المَدْحِ: تِيجَانُ المُلُوكِ لَهُ فِدَى

وَمنْ مُنْشِدٍ يُحْيِى فَخَارَ جُدُودِهِ فَيُكْسِبُهُمْ مَجْداً بِذَاكَ مُجَدَّدَا
إِذَا النَّسْلُ لَمْ يَحْفِلْ بِذِكْرِ جُدُودِهِ فَإِنَّ لَهُمْ مَوْتاً بِهِ مُتَعَدَّدَا
قَوَافٍ يَزِينُ الشِّعْرَ حُسْنُ نِظَامِهَا كَمَا ازْدَانَ كَأسٌ بِالْحَبَابِ مُنَضَّدَا
وَسَبْكٌ يُعِيدُ اللَّفْظَ لَحْناً مُوَقَّعاً وَيُبْدِى لَنَا الْمَعْنَى الخَفِىَّ مُجَسَّدَا

❀

أَسِحْراً تُرِينَا أَمْ صَحَائِفَ كُلَّمَا نُقَلِّبُهَا وَجْهاً نَرَى عَجَباً بَدَا
فَبَيْنَا هِىَ الرَّوْضُ الذى تَشْتَهِى الْمُنَى تَعَاشَقَ فِيهِ النُّورُ وَالطِّيبُ وَالنَّدَى
إِذَا هِىَ أَنْهَارٌ تُقِرُّ عُيُونَنَا إِذَا هِىَ نِيرَانٌ تَثُورُ تَوَقُّدَا
إِذَا هِىَ أَفْلاَكٌ بُسِطْنَ وَأَبْحُرٌ أَغَارَ بِهَا الْفُلْكُ الصَّغِيرُ وَأَنْجَدَا
إِذَا هِىَ آجَامٌ تَمُوجُ بِأُسْدِهَا وَأَوْدِيَةٌ يَرْعَى بِهَا الظَّبْىُ أَرْبَدَا
إِذَا هِىَ عِيسٌ فى البَوَادِى مُجِدَّةٌ تَسِيرُ وَلاَ سَيْرٌ وَتُحْدَى وَلاَ حِدَا
إِذَا هِىَ حَرْبٌ يَخْلَعُ الْبِيدَ جَيْشُهَا نِعَالاً مَتَى هَبُّوا وُثُوباً عَلَى العِدَى
إِذَا هِىَ أَجْيَالُ الزَّمَانِ مُعَاهِداً بِهَا آدَمٌ مُوسَى وَعِيسَى مُحَمَّدَا
بَيَانُكَ سَيْفٌ لِلْحَقِيقَةِ سَاطِعٌ ذَلِيلٌ بِهِ الْبَاغِى قَتِيلٌ بِهِ الرَّدَى

بِشِعْرِكَ فَلْيَحْيَ الَّذِى جَلَّ فَضْلُهُ   وَمَاتَ جَدِيــــراً بِالْفَخَارِ مُؤَبَّدَا
وَذُو العِلْمِ فَلْيَخْتَرْ كِتَابَكَ مُؤْنِساً   كَرِيماً وَأُسْتَاذاً حكِيــمــاً وَمُرْشِدَا

٩ شهيد المروءة

وشهيدة الغرام

(قصيدة قصصية)

سَيِّدَتـــــــــى إنْ تُفْسِحِى ... لِى بِالْكَـــلاَمِ فَاسْـــمَحِى

أَقُصُـــــصْ عَلَى قُـــرَّاءِ ... نَشْـــرَتِكِ الْغَـــرَّاءِ

بِالـــنَّثْرِ أَوْ بِالـــشِّعْرِ ... أَيُّهمَـــــا لاَ أَدْرِى

حـــــادِثَـةٌ غَرِيـبَهْ ... مَاهِـــىَ بِالمَكْـــذُوبَهْ

أَنْقُلُهَـــــا مُمَثَّلَهْ ... مُجْمَـــلَةً مُفَصَّـــلَهْ

كَمَا جَرَتْ أَمَامِـــــى ... فِـــى قَـــرْيَةٍ بِالـــشَّامِ

❀

وَذَاكَ أَنْ ذِيبــــــاً ... مُسْتَضْخَمـــاً مَهِيـــبَا

طَرَقَهَا أَصِيلاَ   يَبْغِي بِهَا مَقِيلاَ
فَخَرَجَ الرِّجَالُ   إِلَيْهِ وَالأَطْفَالُ
فِي هَرَجٍ وَمَرَجِ   وَلَجَبٍ مُمْتَزِجِ[1]
أَتَاهُمُ الإِنْبَاءُ   مُبَاغِتاً فَجَاؤُوا
عُزْلاً بِلاَ سِلاَحِ   يُرْجَى سِوَى الصِّيَاحِ
وَوَقَفُوا بَعِيداَ   يُنَفِّرُونَ السِّيدَاَ[2]
وَانْتَظَمُوا هِلاَلاَ   لِيُقْفِلُوا المَجَالاَ
فَامْتَنَعَ الدُّخُولُ   عَلَيْهِ وَالْقُفُولُ
فَهْوَ أَمَامَ سُورِ   يَمْشِي مِنَ الْحُضُورِ
وَخَلْفَهُ هِضَابُ   شَوَامِخٌ صِعَابُ
وَلَمْ يُحَاوِلْ هَرَبَا   مِنْ حَيْثُ كَانَ كَلِبَا
عَيْنَاهُ شُعْلَتَانِ   يَرْنَحُ كَالسَّكْرَانِ
مُنْتَقِلاً عَلَى مَهَلْ   كَالظِّلِّ فِي سَفْحِ الجَبَلْ

---

(١) لجب : ضجيج .
(٢) السيد : الذئب .

وَبَيْنَمَـــــا الجُمْهُـــــورُ   حَـيْرَانُ مُسْتَطِيـــــــــرُ
دائـــــرةٌ مُشْتَبِـــــكَهْ   فِـــى سكْنَةٍ وَحَرَكَـــهْ
كَالـــــبَحْرِ ذِى الـــــهِيَاجِ   فِـــى مكْسِــــرِ الأَمْوَاجِ
طَوْراً وَطَـــوْراً جَامِـــدُ   كَالْمَـــاءِ وَهْـــوَ رَاكِدُ
كُلٌّ يَقُـــولُ مَا الْعَمَـــلْ   لِصَـــدِّهِ ، وَمَـــا الحِيَلْ ؟
إِذِ انْـــبَرَى شُـــجَاعُ   تَرْهَبُـــهُ ، الـــسِّبَاعُ
كَـــانَ اسْمُهُ «أَدِيـــبَا»   وبَأْسُـهُ عَجِيـــــــبَا
بَـــدَا مِنَ الجُمْهُـــورِ   بِمَظْهَــرِ الأَمِيـــــــرِ
وَسَـــارَ نَحْوَ الـــذِّيـــبِ   بِكِبَـــرٍ غَرِيـــــبِ
يَمْشِـــى ولاَ يُبَـــالِى   كَالأَسَـــدِ الـــرِّئْبَالِ
يَدِقُّ وَهْوَ نَائِـــــــى   فِـــى عَيْنِ كُلِّ رَائِـــى(1)
وَالـــــــرَّوْعُ فِى تَعَاظُمِ   وَالخَطْـــبُ فِـــى تَفَاقُمِ
حَتَّـــى إِذَا مَا اقْتَرَبَـــا   مِنْـــهُ عَـــوَى وَاضْطَرَبَا
وَنَبَّـــهَ الأَصْـــدَاءَ   فَامْتَـــلاَتْ عُـــوَاءَ

(1) يدق : يصغر .

ثُمَّ مَشَـى ثُمَّ جَـرَى   مُسْتَقْبِلاً وَمُدْبِـرَا
مُسَـاوِراً مُقَاتِلَـهْ   مُدَارِيـاً مُقَـاتِلَهْ(١)
مُحَـاوِلاً مُحْتَرِسـاً   مُصَـاوِلاً مُخْتَلِسَـا
وَالشَّمْسُ فِي شُحُوبِ   هُنَيْهَـةَ الْغُرُوبِ
وَالنَّاسُ فِي تَخَوُّفِ   مِـنْ هَـوْلِ ذَاكَ المَوْقِفِ
يَرَوْنَ نَحْوَ الْجَبَلِ   ظِلَّيْنِ فِـي تَنَقُّلِ
حِينـاً عَلَى تَلاَقِـي   ثُـمَّ عَلَـى افْتِرَاقِ
ثُمَّ عَلَـى اشْتِبَاكِ   ثُمَّ عَلَـى انْفِكَـاكِ
وَبَيْنَمَا هُـمْ فِـي هَلَعْ   إِذْ سَمِعُوا صَوْتـاً صَدَعْ
فَصَـكَّ فِـي الآذَانِ   كَطَـرْقَةِ السِّنْدَانِ
ثُمَّ عُـوَاءً مُزْعِجَـا   مُطَّرِداً مُـرَجْرَجَـا
ثُمَّ عُـوَاءً أَضْعَفَـا   مُقَطَّعـاً مُخَطَّفَـا
وَأَبْصَرُوا الذِّئْبَ جَـرَى   إِلَى بَعِـيدٍ مُدْبِـرَا

---

(١) مساوراً : مجاولا

ثُـــمَّ سَـــجَا ثُمَّ الْتَـــوَى   وَسَارَ شَوْطــــــــاً وَهَوَى[1]

❁

وَعَادَ مِـــــنْ سَفْحِ الْجَبَلْ   «أَدِيـــبُ» عَوْدَةَ الـــبَطَلْ
وَهْـــوَ كَلِيـــلٌ مُتْعَـــبُ   بِدَمِـــهِ مُخَضَّـــبُ
حِـــذَاؤُهُ مُشَقَّـــقُ   وَثَوْبُـــهُ مُمَـــزَّقُ
وَقَـــالَ أَجْهَـــزْتُ وَلاَ   فَخَـــرَ عَلَـــى كَلْـــبِ الْفَلاَ
فَهَنَّأُوهُ فَرَحَــــــا   وَأَمْطَـــــــرُوهُ مِدَحَا
وَدَرَجَ الأَطْفَـــــالُ   كَـــــــأَنَّهُمْ أَحْجَـالُ
فَرَجَعُوا بِالسَّيِّـــــدِ   فِي مَشْهَـــدٍ مَشْـــهُودِ
وَعَلَـــتِ الأَصْـــوَاتُ   وَرُفِعَـــــتْ رَايَاتُ
وَطِيـــــفَ فِي الأَسْوَاقِ   بِهِ عَلَـــى انْتِسَـــاقِ
ثُمَّ رَمَـــوْا فِـــي خَنْدَقِ   بِشِلْوِهِ الْمُفَلَّـــــقِ[2]
فَجَـــاءَهُ الْكِـــلاَبُ   عَصَائِبـــــاً تَنْتَـــابُ
فَابْتُلِيَتْ بِالـــــدَّاءِ   وَعَـــمَّ كَالْوَبَـــاءِ

(١) سجا : هدأ .   (٢) شلوه : جسده .

فَجَــــزِعَ الـــــسُّكَّانُ وانْقَطَـــــعُ الأَمَـــــانُ
وَاحْتَجَـــــبَ الآبَـــــاءُ واحــــــــتَبَسَ الأَبْنَـاءُ
وَامْتَنَعَ الــــــــــذَّهَابُ فِى الـــــــسُّوقِ وَالإِيَابُ
وَالأَخْــــــــــذُ وَالْعطَاءُ وَالْبَيْـــــعُ وَالـــــشِّرَاءُ
فَبُثَّـــــتِ الْجُنُـــــودُ تَرْقَـــــبُ وَتَـــــرُودُ
فَأَفْنَـــــواُ الـــــكِلاَبَا وَسَــــكَّنُوا الأَلْبَـــابَـــا

كَانَتْ مِنَ الـــــــــشُّهُودِ فِـــى المَوْقِـــفِ المَشْهُودِ
يَوْمَ هَلاَكِ الـــــذِّيـــــبِ عَلَى يَدَىْ «أَدِيـــــــبِ»
فُتَيَّـــــةٌ عَـــــذْرَاءُ جَمِيـــــلَةٌ غَـــــرَّاءُ
طَاهِـــــرَةُ الْفُـــــؤَادِ عَفِيـــــــــفَةُ الْـــوِدَادِ
قَوَامُهَـــــا كَالـــــرَّنْدِ وَخَـــــدُّهَا كَالـــــوَرْدِ
وَعَيْنُهَـــــا الـــــزَّرْقَاءُ تَحْسُـــــدُهَا الــــسَّمَاءُ
كَانَـــتْ لَهُ خَطِيـــــــــبَهْ يَدْعُونَهَـــا «لَبِـــــيبَهْ»

وكَانَ مَوعِدُ الزِّفَا ... فِ لَهُمَا قَدْ أَزِفَا[1]

فِى أَرْبَعِينَ خَالِيَهْ ... مِنَ اللَّيَالِى التَّالِيَهْ

يَغْدُو «أَدِيبُ» بَعْلَهَا ... فَهْىَ لَهُ وَهْوَ لَهَا

لَمَّا رَأَتْهُ أَقْدَمَا ... مُسْتَبْسِلاً مُقْتَحِمَا

وَرَاحَ يَلْقَى «السِّيدَا» ... مُنْفَرِداً وَحِيدَا

هَمَّتْ بِأَنْ تَتْبَعَهُ ... رَجَاءَ أَنْ تَمْنَعَهُ

أَوْ أَنْ تُمِيتَ السَّبُعَا . ... أَوْ يَهْلكَا إذَنْ مَعَا

عَدَتْ وَلَمْ تُبَالِ ... فَاسْتُوقِفَتْ فِى الحَالِ

فَلَبِثَتْ تَنْتَظِرُ ... وَقَلْبُهَا مُنْفَطِرُ

مَشْغُولَةٌ مُضْطَرِبَهْ ... تَدْعُو لَهُ بِالغَلَبَهْ

حَتَّى رَأَتْ مَرْجِعَهُ ... وَقَدْ قَضَى مَطْمَعَهُ

مُفْتَخِراً مُدِلاًّ ... مُعَظَّماً مُعَلَّى

فَجَذِلَتْ كَثِيراً ... حَتَّى بَكَتْ سُرُوراً

وأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ ... وَضَمَّدَتْ جُرْحَيْهِ

---

(١) ازف : قرب .

فَلَـــزِمَ الـــبَيْتَ وَفِـــى يَوْمَـــينِ بَعْـــدَهَا شُـــفِى
وَبُـــدِئَ الإِعْـــدَادُ لِفَـــرَحٍ يُجَـــادُ
فَهَيَّـــأُوا المَلْبُوسَـــا وَجَهـــزُوا الْعَرُوسَا
وَاشْـــتَرَوُا الْحَرِيـــراَ وَأَتْقَنُـــوا الـــسَّرِيـــراَ
وَاجْتَمَـعَ الْجِيـــرَانُ وَالأَهْـلُ وَالْخـــلاَّنُ
فِى مَنْـــزِلِ الحَلِيـــلِ بِمَحْفِـــلٍ جَلِيـــلِ
يَوْمَ الـــثَّمَانِى وَالـــثَّلاَ ثِـــينَ لإِهْـــدَاءِ الحُـــلَى
جَرْيـــاً عَلَى الْمُعْتَادِ فِـــى هَـــذِهِ الْبِـــلاَدِ
فَفِرْقَـــةُ الـــنِّسَاءِ فِـــى الـــرَّقْصِ وَالْغِنَـــاءِ
وَفِرْقَـــةُ الـــشُّبَّانِ فِى الـــشُّرْبِ وَالـــتَّهَانِى
وَبَيْنَمَا هُـــمْ فِـــى فَـــرَحْ وَلاَ مَظَنَّ لِلـــتَّرَحْ
إِذِ اشْـــتَكَى «أَدِيـــبُ» حَـــرَارَةً تُذِيـــبُ
وَقَـــامَ بِارْتِعَـــاشِ فَـــوْراً إِلَـــى الْفِـــرَاشِ
فَاسْتَوْصَفُوا دَجَّـــالاَ بِطِبِّـــهِ مُحْتَـــالاَ

فَجَـــسَّ نَبْضَ الـــسَّاعِدِ   جَسَّ الْحَكِيـــمِ الـــرَّاشِدِ
وَخَطَّ رَسْمــــــــاً مُبْهَمَــا   عَقْـــرَبَهُ وَأَعْجَمَــــــا
وَجَاءَهُ فِـــــى غَـــــدِهِ   بِبِدَعٍ لَـــــمْ تُجْـــدِهِ
وَكَـــرَّرَ الْعـــــــيَادَهْ   لَـــــهُ بِلاَ إِفَـــــادَهْ
يُنْقَـــدُ فَـــوْراً أَجْـــرَهُ   ثُـــمَّ يُوَلِّـــى ظَهْـــرَهُ
وَالــــــضَّعْفُ فِي ازْدِيَادِ   وَالـــدَّاءُ فِـــى اشْـــتِدَادِ
وَهْـــوَ يَقُـــولُ لاَ مَرَضْ   وَإِنَّمَا هَــــــــذَا عَرَضْ
حَتَّـــى إِذَا الـــلَّيْلُ سَجَا   نَامَ «أَدِيـــبٌ» مُزْعَجَــــا
وَكَـــانَ لَيْـــلَ الْعُرُسِ   لَيْلَ ابْتِهَـــاجِ الأَنْفُـــسِ
فِي غَدِهِ الـــــــزِّفَافُ   وَالـــعَزْفُ وَالـــطَّوَافُ
فَالـــنَّاسُ فِـــى سُـــرُورِ   لِلْبَاسِـــلِ الْمَشْـــهُورِ
وَالْخَيْلُ فِـــــى اسْتِعْدَادِ   وَالـــرَّكْبُ فِـــى تَنَـــادِى(١)
وَكُـــلُّ ذِى مَكَـــانِ   وَكُـــلُّ ذَاتِ شَـــانِ

(١) تنادى : ينادى بعضهم بعضاً .

فِى أُهْبَةِ المَسِيرِ   بِالمَوْكِبِ الْكَبِيرِ
يُمَهِّدُونَ لِلْغَدِ   وَالمَوْتُ مَمْدُودُ الْيَدِ

❁

وَإِذْ مَضَى قَلِيلُ   تَنَبَّهَ الْعَلِيلُ
كَقِطْعَةِ الْحَدِيدِ   فِى اللَّهَبِ الشَّدِيدِ
فَهَبَّ يُرْغِى مُزْبِدَا   وَقَدْ تَجَافَى المَرْقَدَا
وَاضْطَرَمَتْ عَيْنَاهُ   وَاضْطَرَبَتْ أَحْشَاهُ
وَشُنِّجَتْ أَعْصَابُهُ   وَبَرَزَتْ أَنْيَابُهُ
فَمَزَّقَ الْكِسَاءَ   وَبَعْثَرَ الأَشْيَاءَ
وَكَسَّرَ الزُّجَاجَا   وَأَطْفَأَ السِّرَاجَا
ثُمَّ مَضَى عُرْيَانَا   لاَ يَهْتَدِي مَكَانَا
كَالسَّبُعِ الْمُسْتَوْحِشِ   يَعْوِى بِصَوْتٍ رَعِشِ
يَسْقُطُ آنًا وَيَقِفْ   يَسْكُنُ ثُمَّ يَرْتَجِفْ
يَسْتَنْبِحُ الْكِلاَبَا   وَيَقْرَعُ الأَبْوَابَا

يُصَدِّعُ النِّيَامَا   وَيُفْزِعُ الْقِيَامَا

❁

وَأَرِقَتْ «لَبِيبَهْ»   لاَ تَعْلَمُ الْمُصِيبَهْ

تَفَكُّرُ فِى اسْتِكْمَالِ   مَظَاهِرِ الجَمَالِ

وَتُقْلِقُ المَرَائِى   بِكَثْرةِ التَّرَائِى

تَأْوِى إِلَى مَرْقَدِهَا   مَشْغُولَةً بِغَدِهَا

حَتَّى إِذَا مَا ذَكَرَتْ   أَمْراً جَدِيداً نَفَرَتْ

تُجَرِّبُ الْحِذَاءَ   أَوْ تُصْلِحُ الْكِسَاءَ

ثُمَّ تَعُودُ مُتْعَبَهْ   إِلَى السَّرِيرِ مُوصَبَهْ

يَرُوحُ أَمْرٌ وَيَجِى   فِى فِكْرِهَا الْمُخْتَلِجِ

تَقُولُ جَذْلَى بَاكِيَهْ   خَائِفَةً وَرَاجِيَهْ :

رَبِّى أَأَلْقَاهُ غَدَاً   بِجَانِبِى فَأَسْعَدَا ؟

وَكَيْفَ يَأْتِى مَضْجَعِى   لاَ أَحَدٌ فِيهِ مَعِى ؟

وَمَا الَّذِى يَحْلُو لَهُ   مِنِّىَ أَنْ أَقُولَهْ ؟

«أَديبُ» يَا فَخْرَ الصِّبَا　　كُنْ لِى بَعْلاً وَأَبَا

يَا أَبْسَلَ الشُّجْعَانِ　　وَأَفْرَسَ الْفُرْسَانِ

أَميرَهُمْ فِى الحَرْبِ　　وَخَيْرَهُمْ فِى الْحُبِّ

أَهْوَاكَ مَوْلاَىَ وَلاَ　　أَهْوَى سِوَاكَ رَجُلاَ

إِنِّى غَداً أَوْ أُقْتَلاَ　　أَسْعَدُ مَنْ تَأَهَّلاَ

وَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ　　وَزُمْرَةُ الْحُرَّاسِ

قَدْ حَمَلُوا «أَدِيبَا»　　بِدَمِهِ خَضِيبَا

يَتْبَعُهُمْ جُمْهُورُ　　مِنْ حَبِّهِ غَفِيرُ

كُلٌّ يَقُولُ مَا بِهِ　　يَسْأَلُ عَنْ مُصَابِهِ

فَصَاحَ شَيْخٌ فِى اللَّجَبْ　　إِنَّ بِهِ دَاءَ الْكَلَبْ

وَهْوَ شَدِيدُ الصَّرْعِ　　غَيْرُ طَوِيلِ النَّزْعِ

فَمَوْتُهُ قَرِيبُ　　وَيَنْتَهِى التَّعْذِيبُ

فَقَيَّـــــــدُوهُ عَجَـــــــلاَ فِـــــــى غُرْفَـــــــةِ مُنْعَزِلاَ
وكَـــــانَ وَهْـــــوَ ثَائِرُ إذَا أَتَـــــاهُ زَائِـــــرُ
كَشَّرَ عَـــنْ أَضْـــــــرَاسِهِ وَهَـــــمَّ بِافْتِرَاسِـــــــهِ
وأَرْسَـــــلُوا مَـــــنْ أَخْبَرَا «لَبِيـــــبَةً» بِمَـــا جَـــرَى
فَأَقْبَلَـــــــتْ مُنْكَمِشَـــــــهْ مَذْعُـــــورَةً مُرْتَعِشَـــــــهْ(١)
وَدَخَلَـــــــتْ مُجْتَرِئَـــــــهْ غُـــــــرفَتَهُ مُخْتَبِئَـــــــهْ
وكَـــانَ فِـــى سُـــكُونِ مِـــنْ ثَـــوْرَةِ الْجُنُـــونِ
مُسْـــــتَغْرِبَ الْقُيُـــودِ يَعْبَـــــثُ بِالْحَدِيـــــدِ
فَابْتَسَـــــــمَتْ تَكَلُّفَـــــا وَهْـــــىَ تَمُـــوتُ كَلَفَـــا
فَهَشَّ مَسْرُوراً بِهَـــــــــا وَبَـــشَّ حِـــــــــينَ قُرْبِهَـــا
كَالأَسَـــــدِ المَرِيـــــــضِ مُلْقًـــى عَلَـــى الْحَضِيـــضِ
عَادَتْـــــــهُ بِالْعَرِيـــــــنِ إِحْـــدَى الـــظِّبَاءِ الْعِـــينِ
سَـــــــارِحَةٌ حَيَـــــالَهْ مَارِحَـــــةٌ مُحْتَـــــالَهْ
هْـــوَ إِلَيْهَـــــا رَانِى يَفْتَـــــرُّ كَالْجَـــــذْلاَنِ(٢)

---

(١) منكمشة : مسرعة .

(٢) رانى : ناظر بتأمل . يفتر : يبتسم .

ظَلَّ قَلِيلاً يَبْسِمُ   يُصْغِي وَلاَ يُكَلِّمُ
ثُمَّ شَكَا ثُمَّ زَفَرْ   ثُمَّ بَكَى ثُمَّ نَفَرْ
وَعَضَّهَا فِي صَدْرِهَا   وَرَأْسِهَا وَنَحْرِهَا
فَلَمْ تُحَاوِلِ الْهَرَبْ   مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْغَضَبْ
وَعَرَّضَتْ حَيَاتَهَا   مُؤْثِرَةً مَمَاتَهَا
فَظَلَّ فِي إِيلاَمِهَا   وَهْيَ عَلَى اسْتِسْلاَمِهَا
حَتَّى تَوَلَّى عُنْقَهَا   بِالْيَدِ يَبْغِي خَنْقَهَا

❁

فَاسْتَصْرَخَتْ مِنَ الْوَجَعْ   وَبَعْدَهَا الصَّوْتُ انْقَطَعْ
فَأَبْصَرُوهَا هَامِدَهْ   بَيْنَ يَدَيْهِ بَارِدَهْ
ثُمَّ صَحَا وَأَدْرَكَا   مَا قَدْ جَنَاهُ فَبَكَى
وَصَاحَ يَا لَلنَّاسِ   لِحَسْرَتِي وَيَاسِي !
وَيَا لَهَذَا الْعَارِ   مَنْ مُحْرِقِي بِالنَّارِ ؟!
يَا قُرَّةَ النَّوَاظِرِ   وَبَهْجَةَ الْخَوَاطِرِ

لاَ تَسْتَطِيــــــرِي جَزَعَــا   إنِّـــــى آتٍ مُسْرِعَـــــا
أَلْيَــــومَ يَـــــومُ عُرْسِنَا   وَالْمُلْتَقَـــــى فِـــــى رَمْسِنَا
ثُـــمَّ هَـــوَى مُعَفَّـــراَ   وَمَـــــاتَ مَوْتــــاً مُنْكَرَا
فَشُـــيِّعَ الـــزَّوْجَـــانِ   فِــى شَـكْلِ مِهْرَجـــــانِ
وَمُنْتَهَـــــــى الــــسَّرَّاءِ   كَمُنْتَهَـــــى الــــضَّرَّاءِ
لَـــمْ يَسْـعَدَا فِي الْعُمْـــرِ   فَسَــعِدَا فِـــى الْقَبْـــرِ

❁

رَاحَ فِـــــدَاءَ فَضْـــــلِهِ   وَاسْتَبْسَـــلَتْ لأَجْـــلِهِ
كِلاَهُمَـــا شَهِيـــــــــدُ   وَمَوتُـــهُ حَمِيـــــــــدُ

١٠ الـوردة والزنبقة

تفـقدتهـا والفجـر يفتح جـفنه كما انتبه الوسنان والجفن مُثَقلُ
فطفت عـلى الأزهار فى أمن نومـهـا أنبـهـهـا جـذباً إلىَّ فـتُجـفل
أحـاول سلواناً بتـشكيل طاقـةٍ فـأقتـل منها مـا أشـاءُ وأُشكِلُ
إلى أن بدت لى وردة مسـتكينة كـأن دموع الفـجر فـيهـا تَهلَّلُ
لهـا طلعة الجـاه المؤثل والصِّبى وفى الوجـه تقطيب لمن يتـأمَّل
تلوح علـيـهـا للـكآبةَ والأسى مـخايـل دَقَّت أن تُرى فتُخـيَّلُ
ويكسـبهـا معنى الحـياة ذُبُولهـا لدى ناظريها فهى فى النفس أجملُ
مليكة ذاك الروض جاور عرَشَها من الزنبق العـاتى مليكٌ مُكلَّلُ
أغَرُّ المحـيـاَّ كـالـصـبـاح نَقَيـهٌ له قامـةٌ كالرمح أو هـى أعدلُ
إذا مااستمالتهُ إلى الوردة الصَّبا فـلا يـنثنى كِبـراً ولا يَتَحـوَّلُ

حبيبان سُرَّا ساعةً ثم عُوقِبا طويلاً كذاك الدَهرُ يَسْخُو ويبخُلُ

وإن لهذين العشيقين حادثاً غريباً بوُدِّى أن أرى كيف يكْمُلُ

فقد جاورت هذى الوفية إلفها إذ الإلف قيَّاس المَعَاطِفِ أميَلُ

فكان إذا مرت به نسم الصبا يسرُّ إليها سِرَّ من يتغزلُ

يداعبها جُهْدَ الصبابة والهوى ويعرض عنها لاعباً ثم يُقْبلُ

ويرشف كلٌّ من جبين حبيبه دفوع الذى خمراً رحيقاً فيثملُ

ولكنه لم يلبث الغصن أن جفا فلم تثنِ عِطفٌ جنوبٌ وشمالُ

فشق عليها بينه وهو جارها وباتت لفرط الحزن تنوى وتنجلُ

وعما قليل يَقْضِيَانِ من الجَوىْ وإن صح ظنى فهى تَهلكُ أوَّلُ

❁

هُمَا صورتانا فى الهوى وحديثنا حديثهما بين الأزاهر يُنْقَلُ

أُقَبْلُ ذاك الغصن كل صبيحة كأنى للنائى الحبيب أقبلُ

وأنظر أختى فى الشقاء كأننى أرانى بمرآةٍ أموتُ وأذبُلُ

١١ المساء

شاكٍ إلى البحر اضطراب خواطِرى فيجيبنى برياحِهِ الهوجاءِ
ثاوٍ على صخرٍ أصم وليت لى قلباً كهذى الصخرةِ الصماءِ
ينتابها موجٌ كموج مكارهى ويفتها كالسقم فى أعضائى
والبحرُ خفاقُ الجوانب ضائقٌ كمداً كصدرى ساعة الإمساء
تغشى البرية كدرةٌ وكأنها صعدت إلى عينىَّ من أحشائى
والأفقُ معتكرُ قريحُ جفنه يُغضِى على الغمراتِ والأقذاء

❁

يا للغروب وما به من عِبرَةٍ للمستهام ! وعبرة للرائى !
أو ليس نزعاً للنهارِ وصرعةً للشمسِ بين مآتمِ الأضواء ؟

❁

ولقـد ذكـرتُك والنهـارُ مـودعٌ   والقلـبُ بين مـهـابةٍ ورجـاء
وخـواطرى تبدو تجـاه نواظرى   كلمى كـداميـه السحـاب إزائى
والدمعُ من جفنى يسيلُ معشقاً   بين الشـعـاعِ الغـاربِ المتـرائى
والشمسُ فى شفقٍ يسيلُ نضُارهُ   فوق العـقيق علـى ذرى سوداء
مـرَّت خلال غـمـامتين تحـدراً   وتَقَطرَّت كـالدمـعـة الحـمـراء
فكأن آخـر دمـعـةٍ للكون قـد   نُزِجَتْ بـآخرِ أدمُعـى لـرثـائـى
وكـأنَّنـى آنستُ يَومـى زائلاً   فـرأيتُ فى المِرآةِ كيـف مسـائى

١٢ الزنبقـــة

طُفْتُ والصُّبْحَ طَالِباً فِي الْجِنَانِ سَلْوَةٌ مِنْ نَوَاصِبِ الأَشْجَانِ
فَنَفَى حُسْنُهَا عَنْ ضَمِيـــــرِى وجَلاَ نَاظِرى وسَرَّ جَنَانِى(١)
زَنْبَقٌ نَاصِعُ الْبَيَاضِ نَقِىٌ تَرْتَوِى مِنْ بَيَاضِهِ الْعَيْنَانِ
وجُفُونٌ مِنْ نَرْجِسٍ دَاخَلَتْهَا صُفْرَةُ الـــدَّاءِ فِى مَحَاجِرِ عَانِى
وَوُرُودٌ كـــــــأَنَّهَا مَلِكَاتٌ بَرَزَتْ فِى غَلاَئِلِ الأَرْجُوَانِ
وأَفَانِينُ مِنْ شَقِيـــقٍ ومِنْ فُلٍ ومِنْ مُضْعُفٍ ومِنْ رَيْحَانِ
كُلُّ ضَرْبٍ شَبِيــهُ سِرْبٍ جَمِيع مُفْرَدٍ عَنْ لِدَاتِهِ فِى مكـــانِ(٢)
طَالَ فِيــــــهَا تَأَمُّلِي وكَأَنِّى كُنْتُ مِنْهَا فِى رَوْضِ عِين حِسَانِ

---

(١) جنانى : قلبى .

(٢) لداته : أشباهه .

فَتَوَخَّيْتُ مُشْبِهــــاً «لأَلِيسٍ» بَيْنَهَا فِي صِفَاتِهَا وَالْمَعَانِي[1]
فَإِذَا الْبَاهِرُ الـــنَّقِيُّ مِنَ الــزَّ نْبَقِ مِرْآةُ حُسْنِهَا الْفَتَّانِ
رَسْمُهَا فِي سَنَائِـــهَا وَسَنَاهَا وَصَدًى لاسْمِها أَوِ اسْمٌ ثَانِي[2]
فِيـــهِ مِنْهَا الْبَهَاءُ وَالْقَامَةُ الـهَيْـ ـفَاءُ والـلَّونُ صُورَةُ الـوِجْدَانِ
وَالْعَبِيــــرُ الَّذِي يُحَدِّثُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ الأَخْفَى بِأَذْكَى بَيَانِ
وَالشُّعَاعُ الَّذِي بِهِ يُرِي البَغْيَ زَهْراً وَيُرِيهَا آزَاهِراً فـــــي آنِ
فَهْيَ فِي الرَّوْضِ والنُّجُومُ قَوَاصٍ وَهْيَ فِي الأَوْجِ والنُّجُومُ دَوانِي
تَتَرَاءَى الـــسَّمَاءُ الأَرْضُ كُلٌّ فِي سِوَاهـــا وَتَلْتَقِي الْجَنَّتَانِ

❁

إِنَّمـــا النَّرْجِسُ ابْتِسَامَةُ فَجْرٍ أَلْطَفَتْ نَسْجَهَا يَدُ الـــرَّحْمَنِ
قَامَ فِي حُلَّةِ الْبَيَاضِ فَكَانَتْ ثَوْبَ رُوحٍ لاَ ثَوْبَ جِسْمٍ فَانِي
اسْتَزَادَ الْحِلَى سِوَاهَا فَجَاءَتْ حَيْثُ زَادَتْ عَلاَئِمَ الـــنُّقْصَانِ

(١) أليس : اسم آنسة فرنسوية .

(٢) ذلك أن اسم الزنبقة فى الفرنسوية «ليس» والصدى يضيع الحرف الأول من اسم «أليس» فما يبقى يكون اسم الزنبقة ولو بقى الاسم على أصله لصح أن يسمى الزنبق به لما اتصفت به تلك الفتاة من المحاسن .

هَكَذَا سِرُّ كُلِّ حَيٍ نَرَاهُ   خَلَلَ الـــشَّكْلِ بـــادِيـــاً لِلْعَيَانِ

فَتَرَى أَنْفُسَ الْحِسَانِ حِسَانــــــاً   حَيْثُمَا هُنَّ عَنْ حُلِيٍ غَوَانِى

ونَرَى أَنْفُـــسَ الأَزَاهِـــر غُرّاً   إِذْ نَرَاهَا عَفِيـــــــفَةَ الأَلْـــوَانِ

١٣ الشاعر والطائر

يا أيُّها الطَّائر المُغَنِّى   بلا نثير ولا نظيم
من لى بشدو طليق فن   كشدوك المطْرب الرَّخيم
فأنت تشدُّو بلا بيان   ما تشاءُ المُنى تُجِيد
ونحن باللفظ والمعانى   نعجزُ عن بعض ما نُريدُ
أعْرِ جناحيك يا رفيق   أَطِرْ وامرح خلىَّ بَالْ
من ساكِب النور لى رحيق   وفسْحةِ الجو لى مَجَالْ
أشرِق وأَغْرِبْ بلا مرام   فلا مكَانُ ولا زَمَانْ
ولا هُيَامَ إلاَّ هيَامِى   بين السَّمَوات والجنان

❁

طِرْبى وأنتَ الأخُ الرفيقْ   إلى مقر من الأنَامْ

لا عــذر فيــه ولا عـقــوق ولا رياء ولا خـــصـــام

مــا أجـمل الـكونَ عن قَصىًّ وأبـــدعَ الأرضَ مـــن غِل

لهـــارب فـــاز بـالرقـىٍّ تـنحـطُّ عـنه ويـعـــتلـى

أعــجب بمرأى هذى الجـبــال منخــفــضــاتٍ إلى المهــاد

حـتـى غـدت وهى كـالطلال من الجـــلال ومن ســـواد

أعــجب بمرأى هـذى المبــانى عـــفت كـــأن لم تكـن ديار

وكـيف صــارت خُضـرُ الجِنانِ مـــن ازدهـــاء إلـــى بـــوار

مــا أبهج النور فى عـيـونى مــا أطيب النفس فى الخـــلاء

شـــفـــانـى الله من جنـونى والبـــعـد عن خلـقـه شـقـاء

١٤ زهرة ساهرتنى

بَاتَتْ لـــــــــدىَّ وطَالَعَتْ مـــــا لا يُطَالِعـــــهُ سَواها
حـــسناءُ مـن وردِ الخــمـــا ئلِ أبـهـــجـتَ نظـرى حِلاَها
قـــامت على مـــتــــأَوِّدٍ من قـــدِها حُلوِ الـتـــثـنى
وكـــأنما فـــيـــهـــا الحِلَى كَمُلتْ عـلى قـــدر الـتَمنَّى
يـجلـو مُحـــيَّاها بـيـــا ضُ شفَ عن أدنـى أحـــمـرار
مـــتـــرقِّصُ فـــيـــه الـندى بالنـور فـوق حـجـــاب نارِ
مـــــتـكـوفٌ أوراقُهــــــا بـعضٌ عـلى بعـضٍ بـعطـف
ولـكـل واحـــــــدةِ ثـنـا يا الثـغـيـر حين سـمـا لرَشْفِ
بَاتَتْ وكـــأسُ الماءِ مـــسكـنـ ـهـــا ومَوْردها جـــمـــيـعـــاً
فـى مَوْضِعِ مـنـه تطـل عـلـــ ــى إطـلالاً بـديـعـــــــاً

وإخـــالُهـــا سَهَرتْ عـلىَّ   الليـلَ مُصـغـيـةً رفـيـقـة

وإخـــالُهـــا نظـرت أو   اسـتـمـعت نوازِعى الرقـيـقـة

حـــتى إذا لاَحَ الصَّبـــا   حُ لمحَتْ فـيـهـا كـالذُبولِ

مـن إثْرِ مـــا شَهِدتهُ مـن   آلام مـهـجـتـى العلـيلِ

لكـن بعـشتُ بـهـا ، وفى   المعـنى شـفـيعٌ لـلهـديةْ

فـلأجل أن تـلقـاكِ قـد   أعـدَدْتُهـا منذ العـشـيَّةْ

١٥ بعد انقضاء الشباب

مِنْ بَقَايَا الـــشَّبَابِ فِى وَادى   قَلْبِىَ الْمُســـتكِـينْ
دَهْرَةٌ فِى شُــحُوبِهَا الْبَــادِى   ظَمَـأٌ مِـــنْ سِــنِينْ
ذَادَهَا دَهْرُهَا عَــــنِ الـــوِرْدِ   فَاسْـــتَوَتْ نَاظِـــرَهْ
وَهْىَ بَعْدَ الــــذُّبُولِ فِى الْوَرْدِ   لَـــمْ تَـــزَلْ نَاضِرَهْ
لَبِـــــثَتْ وَهْىَ آخِرُ الـزَّهْرِ   فِـى رِيَــاضِ الْهَـوَى
وَأَرَاهَا تَقْضِـــى وَفِـــى الإِثْرِ   سَائِـــرُ الْقُـــوَى
كِدْتُ أُمْسِى وَالْيَأْسُ بِى حَــلاًّ   مِــنْ تَعَافِيــــــهَا
فَإِذَا لِلْعِنَايَـــــةِ الْجِــــلَّى   آيَــةٌ فِيـــــــهَا
يَا فَتَاةً بِالـــــلُّطْفِ حَيَّتْهَا   عِشْتِ مِـنْ غَادِيَــهْ(١)
قَطْـــرَةٌ مِنْ نَــدَاكِ أَحْيَتْهَا   فَزَهَـــتْ نَادِيَـــهْ

---

(١) النادية : السحابة .

١٦ نفحة الزهر

بِاسْمِ المَلِيكَةِ فِى الأَزَاهِرْ ذَاتِ الجَلاَلَةِ وَالبَهَاءْ
يُهْدِى إِلَيكِ بَيَانُ شَاعِرْ أَذْكَى التَّهَانِى وَالدُّعَاءْ

❁

أُنْظُرِيهَا تَجِدِيهَا زَهَرَا وَاقْرَئِيهَا تَجِدِيهَا فِكَرَا
تِلْكَ أَشْبَاهُ المُنَى فِى لُطْفِهَا لَبِسَتْ حُسْناً فَجَاءَتْ صُوَرَا
مِنْ غِذَاءِ النُّورِ مِنْ سَقْىِ النَّدَى مِنْ حُنُوِّ اللَّيْلِ مِنْ ضَمِّ الثَّرَى
مِنْ هَزِيزِ الرِّيحِ فِى تَسْيَارِهَا مِنْ مُنَاغَاةِ الدَّرَارِى فِى السُّرَى
خُرَّدُ الرَّوْضِ مِلاَحٌ زَانَهَا خَفَرُ الطُّهْرِ وَزَنَّ الخَفَرَا
لَيْسَ يَدْرِى مَنْ يَرَى أَشْكَالَهَا وَيَرَى أَلْوَانَهَا وَالحِبَرَا
أَيَرَى فِى البَعْضِ مِنْهَا شَفَقاً ؟ أَمْ يَرَى فِى البَعْضِ مِنْهَا سَحَرَا؟

أَمْ يَرَى الـكِمّ سُرُوراً نَابِتــــاً   أَمْ يَرَى الـــنُّوّارَ نُوراً عِطرَاً ؟
إِنَّمَا الـــــزَّهْرَةُ خَلْقٌ عَجَبٌ   فِطْرَةٌ سَمْحَاءُ تَسْمـــــو الفِطَرَا
خُلِقَتْ لِلخَيْرِ خَلْقاً صَافِــيــاً   جَاوَزَ الـــضَّيْمَ وَفَاقَ الـــغِيَرَا
شَأْنُهَا تَضْحِيَةُ الــــنَّفْسِ وَلاَ   شَيْءٌ غَيْرُ الـــنَّفْعِ تَبْغِي وَطَرَا
شِيـــــــمَةٌ فَادِيَةٌ شَرَّفَهَا   شَارِبُ المَوْتِ فِدَاءً لِلـــــوَرَى
فَلِغَيْرِ الحُبِّ ذَابَتْ ذَهَبــــــاً   حِينَ تَأْسَى أَوْ تَذَكَّتْ مَجْمَرَا
وَلِغَيْرِ الــفَخْرِ حَلاَّهَا الـــنَّدَى   وَلِغَيْرِ الـــــذِّكْرِ فَاحَتْ عَنْبَرَا
وَسَمَتْ أَنْ تَتَبَاهَى وَأَبَتْ   أَنْ يُطِيـلَ الـنَّاسُ عَنْهَا السِّيَرَا
مَنْ دَعَاهَا عَادِلاً أَوْ ظَالِمـــــاً   لِلـــــــمُرُوءَاتِ دَعَا مُبْتَدِرَا
فَلِمَنْ جَاوَرَ أَهْدَتْ نَفْحَةً   وَلِمَنْ طَالَعَ أَسْدَتْ مَنْظَرَا
وَأَبَاحَتْ جِيـــــدَهَا مَنْ يَبْتَغِي   سَلْوَةً أَوْ زِيـــــنَةً أَوْ مَظْهَرَا
هِيَ أُنْسُ المَرْءِ فِي وَحْشَتِه   وَهِيَ الــــــصَّفْوُ لَهُ إِنْ كُدِّرَا
وَهِيَ الـــــقُبْلَةُ فِي مَرْشَفِ مَنْ   شَاقَهُ لَثْمُ حـــــبِيـــب هَجَرَا
وَهِيَ الـــنَّفْحَةُ يَسْتَشْفِـــي بِهَا   مَنْ تَلَظَّى وَجْدُهُ مُسْتَعِرَا
وهي الـتُّحْفَةُ فِي الـعُرْسِ لِمَنْ   آثَرَ المَهْرَ الأَحَبَّ الأَطْهَرَا

قَالَتِ الـــوَرَدَةُ ذاتُ الـــنَّهْيِ وَالأَمْـــرِ
في الزَّهْرِ

يـا وَصَـــيِفَاتِى بَنَاتِ الـنُّورِ وَالـــقَطْرِ
في الفَجْرِ

أُخْتُنَا شَمْسُ البَنَاتِ الخَـــرَّدِ الـــزُّهْرِ
في العَصْرِ

مِنْ غَدٍ تَبْرَحُ خِدْرَ الـــكَاعِبِ الـــبِكْرِ
فِي طُهْرِ

وَتُوافِى دَارَ بَعْلٍ صَادِقٍ حُـــرٍّ
فِي فَخْرِ

أَنَا أَهْوَاهَا وَتَهْوَانِىَ فِى الجَهْرِ
وَالسِّـــرِّ

أَسْعِفِيـــنـِى يَا أُخَيَّاتِ الـــهَوَى الـــعُذْرِىِّ
فِى أَمْـرِى

نَنْتَظِمْ فِى شِبْهِ تَاجٍ بَاهِرٍ يـــزْرِى
بِالـدُّرِّ

ونَكُنْ أَبْهَى هَدَايَا الـــودِّ وَالـــذِّكْرِ
فِى المَهْــرِ

لِلْـــمُفَدَّاةِ عَرُوسِ الحُسْنِ وَالـــشِّعْرِ
فِى مِصْــرِ

❁

سُرَّتِ الأَزْهَارُ لَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ النُّطْقَ الـذَّكِيَّ الأَذْفَرَا(١)
وَاسْتَقَرَّتْ لَيْلَهَـــا هَاجِعَـــةً فَرَأَتْ حُلْمـاً جَمِـيلاً فِى الكَرَى
أَبَصرَتْ عُرْسـاً بَهِــيجـاً حَافِلاً جَامِعـــاَ مِنْ كُـــلِّ جِيلٍ مَعْشَرَا
عَقَدَ العِطْرُ سَحَابـاَ نَاصِعـــاً فَاشِيــــــــاً بَيْنَهُمُ مُنْتَشِرا(٢)
تَلْمَـــعُ الأَنْـــوَارُ فِـــى أَثْنَائِهِ وَتُبَاهِى الـــوَجَنَاتُ الـــغُرَرَا
وَلِحَاظُ الـقَوْمِ فِيـــهِ تَلْتَقِـى مُرْسِلاَتٍ أَسْهُمـــــاً أَوْ شَرَرَا

(١) الأذفرا : العطرا .

(٢) ناصعاً : أبيض زاهياً .

فِتْيَةٌ مُرْدٌ وَشِيبٌ تَرَكَتْ　　كَرَّةَ الدَّهْرِ عَلَيْهِمْ أَثَرَا
وَحِسَانٌ مِسْنَ أَغْصَانَاً وَلَمْ　　تَكَدِ الأَوْرَاقُ تُخْفِى الثَّمَرَا
فِى جَلاَبِيبِ سُرُورٍ وَعَلَى　　كُلِّ وَجْهٍ نَجْمُ سَعْدٍ سَفَرَا
تَنْجَلِى فِيهِمْ عَرُوسٌ مَلَكٌ　　تَحْجُبُ العِفَّةُ عَنْهَا النَّظَرَا
بَيْنَ أَتْرَابٍ حَوَالَيْهَا كَمَا　　صَحِبَتْ غُرُّ النُّجُومِ القَمَرَا
مَجْمَعٌ يَحْفِلُ مُهْتَزًّا لَهَا　　فَرِحاً فِى عِيدِهَا مُسْتَبْشِرَا

❀

ظَلَّتِ الرُّؤْيَا إِلَى أَنْ لَمَسَتْ　　رَاحَةُ الفَجْرِ الدُّجَى فَانْحَسَرَا[1]
وَجَلَتْ عَنْ يَوْمِ صَفْوٍ شَائِقٍ　　ذَلِكَ السِّتْرَ المَشُوبَ الأَغْبَرَا
فَتَغَنَّى الطَّيْرُ تَبْشِيراً بِهِ　　وَكَسَى الأُفْقَ الرِّدَاءَ الأَزْهَرَا
وَبَنَاتُ الرَّوْضِ وَافَيْنَ إِلَى　　مَحْضَرِ العُرْسِ فَزِنَّ المَحْضَرَا
جِئْنَ قُرْبَاناً وَكُلٌّ وَهَبَتْ　　رَبَّةَ الدَّارِ صِبَاهَا الأَنْضَرَا
وَدَعَتْ كُلٌّ بِسَعْدٍ دَائِمٍ　　لِلْعَرُوسَيْنِ دُعَاءً مُضْمَرَا

---

(١) انحسر : انكشف .

قَالَتِ الـــــــــوَرْدَةُ يَا شَاعِرَنَا   إِنَّنَا اخْتَرْنَاكَ دُونَ الـــــــشُّعَرَا
أُتْلُ عَنَّا مَا أذَعْنَـــــاهُ شَـــــذاً   وَابْتِسَامَا . . . فَتَـــلاَ مُؤتَمِـــرَا

❀

بِاســـمِ المَلِيـكَةِ فِى الأَزَاهِــــرْ   ذَاتِ الجَــــــلاَلَةِ وَالـــــبَهَاءْ
يُهْدِى إِلَيْـــــكِ بَيَـــــانُ شَاعِرْ   أَذْكَى الـــــتَّهَانِى وَالـــــدُّعَاءْ

١٧ إلى الأخ العزيز

أحمد شوقي بك

أَطَلْتَ نَأْيَكَ عَنِّـــــي وَسُمْتَنِـي الـبُعْدَ شَهْرَا
أَلــشَّهْرُ بَعْضُ الـلَّيَالِي وَرُبَّمَـــا كَـــانَ عُمْرَا
كَمْ فِـي تَدَاوُلِ شَـــهْرٍ يُجَـــدِّدُ اللهُ أَمْـــرًا ؟
كَمْ أُمَّـــةٍ تَتَسَـــامَى فِـي حِـين تَسْقُطُ أُخْرَى
كَـمْ لَيْلَةٍ تَتَقَــــضَّى وَلَيْسَ تُعْقِبُ فَجْرًا ؟
كَـــمْ حَـــالَةٍ يَتَوَالَى مَا سَــاءَ مِنْهَا وَسَـــرَّا ؟
كَـــمْ أَزْمَـــةٍ تَتَـــوَلَّى فَتُتْبِعُ الـعُسْرَ يُسْـــرَا ؟

❁

أَلَسْتَ فِي الـشَّهْرِ تَشْدُو صَوْتـــاً فَتُطْرِبُ دَهْرَا ؟
كَمْ فِي ثَلاَثِينَ يَوْمـــاً أَكْسَبْتَ مِصْرَكَ فَخْرَا ؟

كَـمْ صُغْـتَ آيَةَ وَحْيٍ   يُعِـيدُهَا النَّاسُ شِعْرًا ؟
وَكَمْ بَعَثْـتَ حَيَاةً   فِي قَلْبِ صَخْرٍ فَدَرًّا ؟
وَكَـمْ نَسَـفْتَ بِنَاءً   لِلظَّالِمِـينَ فَخْرًا ؟
وَكَمْ بَكَيْتَ فَأَبْكَيْـ   ـتَ وَادِيَ النِّيلِ نَهْرًا ؟
وَكَمْ حَثَثْـتَ فَأَذْكَيْـ   ـتَ مُزْبَدَ المَـاءِ جَمْرًا ؟
وَكَـمْ رَفَعْـتَ لِقَوْمٍ   ذِكْراً وَقَوَّضْتَ ذِكْرًا ؟
فِـي نَادِيَـاتٍ ذَوَاكٍ   لاَ تُعْقِبُ الشَّرْبَ سُكْرًا(١)
مِنَ الـقَوافِي الـلَّوَاتِي   مُلِئْنَ أُنْسًـا وَسِحْرًا
تَرِقُّ فِيـهَا فَتَصْفُو   نُوراً وَتَخْلُصُ نَشْرًا(١)
فَيَا أَخَا الـوُدِّ حَسْبِي   أَسًـى وَحَسْبُكَ هَجْرًا
إِنْ كُنْتَ تُخْبِرُ صَبْرِي   لَمْ يُبْقِ لِي الـشَّوْقُ صَبْرًا
أَوْ تَبْتَغِي لِيَ أَجْراً   كَفَى بِمَا فَاتَ أَجْرًا

---

(١) الشرب : الشاربين .

(٢) نشراً : عطراً .

١٨ رثـــاء

للشيخ إبراهيم اليازجى

رَبَّ الـــبيَانِ وَسيِّدَ الـــقَلَمِ وَفَّيْتَ قِسْطَكَ لِلـــعُلَى فَنَمِ
نَمْ عَنْ مَتَاعِبِهَا الجِسَامِ وَذَرْ آلاَمَهَـا غُنْمـــاً لمغْتَنِـمِ(١)
مَا أَصْغَرَ الـــدُّنْيَا وأَحْقَرَهَا فِى جَنْبِ مَا لِلـــمَيْتِ مِنْ عِظَمِ
يُغْضِـــى وقَدْ آذَتْـــهُ دَائِبَةٌ عَنْ ذَنْبِهَا إِغْضَاءَةَ الــكَرَمِ
مَا أَعْجَزَ الــلَّسِنَ الفَصِيحَ لَدَى عِيِّ الـفَقِيـــدِ الخَالِدِ الـبَكِمِ
مَا أَسْخَفَ الـــعَبَرَاتِ سَاكِبَةً وَالـــنَّعْشُ يَحْجُبُ وَجْهَ مبْتَسِمِ

❁

يَا مَـــنْ بكَـــتْ لِفِرَاقِــهِ أُمَـمٌ كَانَتْ بِـهِ مــحســودةَ الأُمَـمِ

---

(١) ذر : دع .

أَلآنَ جُزْتَ الوَهْمَ مُرْتَقـــيـــاً وَإِلى الصَّوَابِ خَلَصْتَ مِنْ حُلُمِ
أَكْمِلْ بَلاَغَكَ يَا حَكِيــمُ وَقُلْ أَحَيَاتُنَا خَيْرٌ مِنَ الـــعَدَمِ ؟
أَمْ تِلْكَ أُمٌّ غَـــيْرُ عَاقِلَـــةٍ أُمٌّ بِلاَ قَلــــبٍ وَلاَ رَحِمِ
أُمٌّ تُغَـــذِّى مِنْ وَلاَئِدِهَـــا رِمَمــاً تُمَشِّيـــهَا عَلَى رِمَمِ

❀

مَاالخَلقُ؟ هَلْ أَدْرَكْتَ غَامِضَهُ ؟ وَأَزَحْتَ عَنْهُ غَيَاهِبَ الــظُّلَمِ ؟
أَجْهَدْتَ فِكْرَكَ فِى تَعَقُّلِــــهِ وَصَــدَرْتَ عَنْـــهُ وَارِداً كَظَمِى
سَاءَلْتَ عَنْهُ النَّجْمَ مُرْتَقِــباً وَبَحَثْتَ بَيْنَ الحَرْفِ وَالـــرَّقَمِ
وَهَوَى بِكَ الـــوَادِى مَهَاوِيَهُ وَرَنَوْتَ مُنْطَاداً مِنَ الـــقِمَمِ
تَبْغِى الحَقِيـــقَةَ سَاعِيــاً كَلِفاً مِـــنْ كُـــلِّ مُطَّلَبٍ بِلاَ سَأَمِ
لَكِنْ رَأَيْتَ الــــبِرَّ أَجْمَلَ مَا تُحْدَى إِلَيْهِ سَوَابِقُ الـــهِمَمِ
وَالـــــبِرُّ أَشْرَفُهُ وَأَنْفَعُهُ لِلــنَّاسِ فِى الإِرْشَادِ وَالحِكَمِ
فَأَزَلْـــتَ كُرْبَةَ كُلِّ ذِى شَجَنٍ بِالـــرَّائِقِ الشَّافِى مِنَ الــكَلِمِ
وَأَســوْتَ مَكْلُومَ النُّفُوسِ إِسَاً مَنْ يَقْرِنُ التَّضْمِيـــدَ بِالنَّغَمِ(١)

---

(١) هو مذهب جديد تخفف به آلام من يعمل له عمل جراحى .

بِرَوَائِعٍ كَالْكَوْنِ بَاهِرَةٍ ... مَا بَيْنَ مُنْتَثِرٍ وَمُنْتَظِمِ
جَمَّلْتَهَا بِجَمَالِهِ فَمَضَتْ ... وَلَهَا جَلاَلُ الكَوْنِ مِنْ قِدَمِ

❁

١٩ شعر منثور

كلمات أسف

أنشدت فى حفلة تأبين للمرحوم الشيخ إبراهيم اليارجى

أَطْلِقَ عَبَراتِكَ مِنْ حُكْمِ الوَزْنِ وَقَيْدِ القَافِيَهْ
وَصَعِّدْ زَفَراتِكَ غَيْرَ مُقَطَّعةٍ عَرُوضاً وَلا مَحْبُوسَةً فِي نَظَامْ
قُلْ وَقَدْ نَظَرْتَ إِلى المَوْتِ وَهُوَ قَاتِلٌ عَامِدْ
مَا تُوحِيهِ إِلَيْكَ النَّفْسُ لَدَى رُؤْيَةِ إِثْمِهِ الرَّائِعْ
لاَ عَتْبَ عَلَى الحِمَامْ . هُوَ الظُّلْمَةُ وَالحَيَاةُ النُّورْ
هُوَ الأَصْلُ الأَزَلِيُّ الأَبَدِيّ . وَالنُّورُ حَادِثٌ زَائِلْ
فَإِذَا أَزْهَرَ شَارِقٌ فِي دُجُنَّةٍ فَهُوَ يُكافِحُها ويُنافِيهَا
إِلى أَنْ يَنْقَضِى سَبَبُهُ فَيَتَضَاءَل ثُمَّ يَتَلاَشَى فِيهَا

أَلمائتُ وَرَاءَ المَيتْ . أَتَبْكِي مَيْتاً وَأَنْتَ مَائتْ ؟
هَلِ القَطَرَاتُ الهابِطَةُ فِي العُمْقِ دَمْعَةٌ تَجْرِي إِثْرَ دَمْعَهْ ؟
لَئِنْ مَاتَ اليَازِجِيُّ ، فَقَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهِ النَّبِيُّونْ
وَمَاتَتْ أُمَمٌ أَهَانَ الرَّدَى أَعِزَّاءَهَا وَصَغَّرَ كُبَرَاءَهَا
فَلِمَ تَبْكُونَ رَاحِلاً أَيُّها الرَّاحِلُونَ ؟ أَأَنْتُمْ بعده فى خُلُودْ ؟
أَمْ هِيَ دُمُوعٌ يُقْرِضُهَا السَّلَفْ ، لِيفِيَهُمْ إِيَّاهَا الخَلَفْ ؟
لاَ . . . وَإِنَّمَا نَبْكِي مِنَّا بَعْضَنَا الَّذِي ذَهَبَ مَعَ الذَّاهِبْ
نَبْكِي مَغَانِمَنَا مِنْ أُنْسِهِ وَعِلْمِهِ وَأَخْلاَقِهْ
نَبْكِي مَفْقُودَنَا مِنْ مَعَاهِدِهِ فِي المَكَانِ وَالزَّمَانْ
نَبْكِي مَا أَلِفْنَاهُ مِنْ مَشْهُودِهِ وَمَسْمُوعِهْ

❁

فَيَا مَنْ يُكْبِرُ جَزَعَنَا عَلَى إِبْرَاهِيمْ ! إِنَّ المَيْتَ يُبْكَى بِمِقْدَارِهْ
وَإِنَّ النَّفْسَ بِمَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الكَلَفِ بِمَصَالِحِهَا
لاَ تَأْسَفُ عَلَى الشَّمْسِ المُتَوارِيَةِ بِالحِجَابْ
أَسَفَهَا عَلَى أَيِّ نَجْمٍ يَتَوَارَى ، وَلَوْ كَانَ فِي فُلْكِهِ شَمْسَا

❁

أكَانَ اليَازِجِيُّ مِنْ أَرْوَاحِنَا بِمَنْزِلَةِ الشَّمْسِ مِنَ العُيُونْ ؟
فَيكُونُ حِدَادُنَا عَلَيْهِ حِدَادَ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارْ ؟
نَعَمْ ! كَانَ بِعِلْمِهِ كَالشَّمْسِ إِنَارَة وَإِشْرَاقَا
سِوَى أَنَّهُ كَانَ كَالزَّهْرَةِ بِوَدَاعَتِهِ ، وَعَرْفِهِ ، وَنَفْعِ مَا يَعْصِرُ قَلَمُهُ
وَلَمْ تكُنْ أَشِعَتُّهُ جَارِحَةً لِلعُيُونِ بِقِحَتِهَا ، وَإِنَّمَا كَانَتْ بَلسَماً لِلعُيُونْ
وَلَمْ تكُنْ ثِمَارُهُ وَأَشْجَارُهُ تَنْسِيقَ تِجَارَةٍ وَلاَ زِينَةَ مُفَاخَرَهْ
وَلَمْ يكُنْ عَرْفُهُ دَعْوَةً لِلإِعْجَابِ بِهِ ، بَلْ نَسْمَةَ رُوحٍ مُتَذَكِيه

❀

شَبَحٌ نَحِيلٌ ضَمَّ قَلْباً رَقِيقاً وَعَقْلاً كَبِيرَا
فَقَدْنَاهُ ، فَفَقَدْنَا لُغَةً فِي يَرَاعْ
فَقَدْنَا زَهْرَةً ذَابِلَةً تُنْذِرُ بِذُبُولِ الحَدِيقَهْ
فَقَدْنَا حَدِيقَةً مُتَجَرِّدَةً تُنْبِئُ بِزَوَالِ الرَّبِيعْ
فَقَدْنَا رَبِيعاً انْقَضَى بِهِ عَصْرٌ فِي عُمْرِ رَجُلْ
فَقَدْنَا شَمْساً أَطْلَعَتْ ذَلِكَ الرَّبِيعَ وَزَانَتْهُ بِأَنْوَارِهَا وَأَنْدَائِهَا
ثُمَّ غَرَبَتْ عَنْهُ بِلا تَدَرُّجٍ فِي الانْتِقَالِ وَمَالَتْ إِلى الشِّتَاء

٢٠ تهنئة بمولود

فِيكَ انْجَلَى يَا لَيْلُ طِفْلٌ صَغِيـــــرْ
فَوْقَ السَّرِيرْ
طِفْلٌ كَجَدَّيْهِ سَرِيٌّ أَمِيـــــرْ
لَمَّا بَدَا نَادَى بَشِـــــيرُ الـصَّفَاءْ
بُشْرَى العَلاَءْ
بُشْرَى الْهُدَى بُشْرَى الـنَّدَى وَالـوَفَاءْ

❁

مُحَمَّـــدٌ لاَ بِـــدْعَ أَنْ يُؤْمَـــلاَ
إِذْ أَقْبَلاَ
لِلْـــــخَيْرِ وَالإِحْسَانِ بَيْنَ المَلاَ
هَذَا كَرِيمٌ مِـــنْ كَرِيـــمٍ أَتَى
نِعْمَ الْفَتَى
قَدْ طَابَ غَرْسَـــاً وَزَكَـا مَنْبِتَا

❁

إِنِّى أَرَاهُ وَكَــــــــأَنَّ الْمُنَــى
أَسْعَفْنَنَا
فِيــــــــــهِ فَحَقَّقْنَ بِهِ فَأْلَنَا

❁

أَرَاهُ مــــــــــقْداماً لِجُنْدِ الْوَطَنْ
ضَنَّ الزَّمَنْ
بِمِثْلِهِ بَيْنَ رِجَالِ الــــــــــفِطَنْ

❁

أَرَاهُ يُوحِـــــى وَحْيَهُ شَــــــاعِراَ
أَوْ نَاثِراَ
كَالــــــــــنَّجْمِ مِنْ عَلْيَائِهِ سَافِراَ

❁

أَرَاهُ فِى الــفَضْلِ رَفِـــــيعَ العَلَمْ
ثَبْتَ القَدَمْ
يَحْكِى أَبَاهُ بِمَضَاءِ الــــــــــهِمَمْ

❁

فَلْيَحْفَظِ اللهُ الـــعَلِىُّ الـــقَدِيــــرْ
هَذَا الصَّغِيرْ
فَهْوَ رَجَاءٌ لِلمَعَالِى كَبِــــــــيرْ

٢١ حـــق الوطن

وحق الاخاء

هى المرثية التى أنشدها الناظم على ضريـــــح
المغفور له مصطفى كامل باشا فى حفلة الأربعين

أَعْلَى مَكَانَتَكَ الإِلـــــهُ وَشَرَّفَا   فَانْعَمْ بِطِيـبِ جِوَارِهِ يَا مُصْطَفَى
أَلْـــيَوْمَ فُزْتَ بِأَجْرِ مَا أَسْلَفْتَهُ   خَيْراً ، وَكُلٌّ وَاجِدٌ مَا أَسْلَفَا
وَجُزِيتَ مِنْ فَانِى الوُجُودِ بِخَالِدٍ   وَمِنَ الأَسَى المَاضِى بِمُقْتَبَلِ الـــصَّفَا

❁

أَعْظِمْ بِيَوْمٍ فِى الــزَّمَانِ وَمَنْ لَهُ   بِكَ وَاصِفـــاً ذَاكَ الجَلاَلَ فَيُوصَفَا؟!
يَوْمَ المَلاَئِكَةِ الـــكِرَامِ تَنَزَّلُوا   حَانِينَ حَوْلَكَ فِى السَّرِيرِ وَعُكَّفَا
وَتَحَمَّلُوكَ عَلَى الأَشِعَّةِ وَارْتَقَوْا   سِرْباً يَجُوزُ بِكَ الدَّرَارِئَ مُوجِفَا
فَوَرَدْتَ وِرْدَكَ فِى الخُلُودِ مُنَعَّماً   وَالأَرْضُ مَائِدَةٌ عَلَيْكَ تَأَسُّفَ

لَمْ تُلْفَ قَبْلَكَ أُمَّةٌ فِى مَشْهَدٍ   يُذْرِى الـــرِّجَالُ بِهِ المَدَامِعَ ذُرَّفَا
مُتَثَاقِلِينَ مِنَ الـــــــوَقَارِ وَإِنَّمَا   سَارُوا بِطَيْفٍ نَاحِلٍ أَوْ أَنْحَفَا
بَحْرٌ مـــِنَ الأَحْيَاءِ نَعْشُكَ فَوْقَهُ   فُلْكٌ يُظَلِّلُهُ الـــــلِّوَاءُ مُرَفْرِفَا
يَبْكُونَ فِى آثَارِهِ الـــعَلَمَ الَّذِى   آثَارُهُ مِنْ رِفْعَةٍ لاَ تُقْتَفَى
سَعَتِ الخَوَادِرُ حَاسِرَاتٍ وَالأَسَى   مُلْقٍ عَلَى الأَبْصَارِ سِتْراً أَغْدَفَا
وَلَئِـــنْ سَفَرْنَ وَلَمْ يَخَلْنَ فَإِنَّهُ   خَطْبٌ أَلاَنَ بِرَوْعِهِ صُمَّ الـصَّفَا
فَزِعَ الشَّبَابُ إِلى الشُّيُوخِ بِثَأْرِهِمْ   مِنْ دَمْعِهِمْ إِنْ خَانَهُمْ فَتَكَفْكَفَا
وَمِنَ الــغَضَاضَةِ إِنْ دَعَا دَاعِى الــعُلَى   بَعْدَ الفَقــيدِ فَتًى بِهِمْ فَتَوَقــفَا
جَزِعَ النَّصَارَى وَالـيَهُودُ لِمُسْلِمٍ   هُوَ خَيْرُ مَنْ وَالَى وَأَوْفَى مَنْ وَفَى
بَكَوُا المُرَجَّى فِى خِلاَفٍ عَارِضٍ   لِيُزِيـلَ ذَاكَ الــعَارِضَ المُتَكَشِّفَا
وَاشْتَدَّ رُزْءُ المُسْلِمِينَ وَحُزْنُهُمْ   لَمَّا مَضَيْتَ وَلَسْتَ فِيـهِمْ مُخْلَفَا
مَنْ بَعْدَ كَاتِبِهِمْ وَبَعْدَ خَطِيـــبِهِمْ   يُعْلِى لَهُمْ صَوْتـاً وَيَنْشُرُ مُصْحَفَا

❁

٢٢ مقاطعة

نظمت لما بدئ اضطهاد الأحرار وسلط قانون المطبوعات على الأفكار

شَرِّدُوا أَخْيَارَهَا بَحْراً وَبَرًّا وَاقْتُلُوا أَحْرَارَهَا حُرًّا فَحُرًّا
إِنَّمَا الصَّالِحُ يَبْقَى صَالِحاً آخِرَ الدَّهْرِ وَيَبْقَى الشَّرُّ شَرًّا
كَسِّرُوا الأَقْلاَمَ هَلْ تَكْسِيرُهَا يَمْنَعُ الأَيْدِىَ أَنْ تَنْقُشَ صَخْرًا ؟
قَطِّعُوا الأَيْدِىَ هَلْ تَقْطِيعُهَا يَمْنَعُ الأَعْيُنَ أَنْ تَنْظُرَ شَزْرًا ؟
أَطْفِئُوا الأَعْيُنَ هَلْ إِطْفَاؤُهَا يَمْنَعُ الأَنْفَاسَ أَنْ تَصْعَدَ زَفْرَا
أَخْمِدُوا الأَنْفَاسَ، هَذَا جُهْدُكُمْ وَبِهِ مَنْجَاتُنَا مِنكُمْ... فَشُكْرًا !

٢٣ تهديد بالنفى

أهديت هذه الأبيات إلى رئيس وزارة توعد الشاعر بالنفى من مصر بعد انتشار ما نظمه تحت عنوان «مقاطعة»

أَنَا لاَ أَخَـــافُ وَلاَ أُرَجِّـــى فَرَسِـــى مُؤَهَّبَـــةٌ وَسَـــرْجِى
فَإِذَا نَبَا بَـــى مَتْنُ بَـــرٍ فَالْمَطِيَّـــةُ بَطْـــنُ لُـــجِّ
لاَ قَوْلَ غَيْرَ الْحَـــقِّ لِـــى قَوْلٌ وَهَـــذَا الـــنَّهْجُ نَهْجِى
أَلْوَعْدُ والإِيـــعَادُ مَا كَانَـــا لَـــدَىَّ طَرِيـــقَ فُلْـــجِ(١)

---

(١) الفلج : الظفر .

٢٤ وردة ماتت

إحدى قصائد الذكرى السنوية التى كان يهديها الشاعر إلى روح فقيدة عزيزة

أبْكَتِ الرَّوْضَ عَلَيْهَا جزَعــــا وَرْدَةٌ فِى عُنْفُوَانِ الْعُمْرِ حَانَتْ[1]
لــبِسَتْ زِيــنَتَهــــــا عَارِيَةً لِشَبَابٍ ثُمَّ رَدَّتْ مَا اسْتَدَانَتْ
لَقِيَتْهَا الأَرْضُ تكْرِيــــــاً لَهَا بَيْنَ جَفْنَيْنِ فَعزَّتْ حَيْثُ هَانَتْ
وَابْتَنَتْ مِنْ صَدْرِهَا قَبْراً لَهـــا جَنَّتِ الْحُسْنَى عَلَيْهِ وَاسْتَكَانَتْ
ذَبُلَ الـــرَّيْحَانُ حُزْنــاً وَبَدَتْ سِنَةٌ فِى أَعْيُنِ الــنَّرْجِسِ رَانَتْ

❁

فــــى جِنَانِ الْخُلدِ عُقْبَى حُرَّةٍ لَمْ تَمنْ يَوْماً إِذَا الأَزْهَارُ مَانَتْ[2]
خَابَتِ الــــدُّنْيَا بِهَا لَمْ تَرْعَهَا وَقَدِيـــاً خَابَتِ الــدُّنْيَا وَخَانَتْ

---

(١) حانت : هلكت .

(٢) لم تمن : لم تكذب .

يَا فَرَاشَاتٍ هُنَا حَائـــــــــرَةً   كُلَّمَا مَرَّتْ عَلَى الـــقَبْرِ تَحَانَتْ
حَبَّذَا أَلْوَانُكِ الْبِيـــــضُ الَّتى   مثلـما نَوَّعَهَا الْحُزْنُ اسْتَبَانَتْ(١)
كَمْ بِهَا مِنْ مَلْمَحٍ يَنْدَى أَســـى   مَسْحَةُ الـــدَّمْعِ تَغَشَّتْهُ فَزَانَتْ
حَبَّذَا أَجْنِحَـــــــــةٌ وَهْمِيَّةٌ   حَمَلَتْ وِقْراً وَبِاللهِ اسْتَعَانَتْ
كُبْرَيـــــقَاتٍ تَنَاهَتْ سُرْعَةً   فَاسْتَقَرَّ الـــضَّوْءُ مِنْهَا وَتَفَانَتْ
مَالَهَا ظِلٌّ إِذَا مَا أَوْضَعَتْ   وَلَهَا ظِلٌّ خَفِــيفٌ إِنْ تَوَانَتْ(٢)
يَلْمَحُ الـــظَّنُّ إِذَا مَا رَفْرَفَتْ   سِرْبَ أَرْوَاحٍ صَغِـيرَاتٍ تَدَانَتْ
وَلَهَا أَنَّاتُ نَوْحٍ حَيْثُمَـــــــا   بَلَغَتْ سَامِعَةَ الْقَلْبِ أَلانَتْ

❁

مَا الـذِى تَبْغِــينَ مِنْ جَوْبِكِ يَا   شُبُهَاتِ الـطَّيْرِ؟ قَالَتْ وَأَبَانَتْ :
«نَحْنُ -آمَالَ الصِّبَى- كَانَتْ لَنَا   هـهُنَـا مَحْبُوبَـةٌ عَاشَت وَعَانَتْ
كَانَتْ الْـــوَرْدَةَ فِى جَنَّتِنَـــا   مَلَكَتْ بِالْحَـــقِّ، والجَنَّةُ دَانَتْ
مَا لَبِثْنَـــا أَنْ رَأَيْنَاهَـــا وَقَدْ   هَبَطَتْ عَنْ ذلِكَ الْعَرْشِ وَبَانَتْ
فَتَرَانَا نَتَحَــــرَّى أَبَــــداً   إِثْرَهَا أَوْ نَتَلاَقَـى حَيْثُ كَانَتْ »

---

(١) جمع البيض هنا يراد به تعدد نوع البياض فيها .

(٢) أوضعت : أسرعت .

٢٥ العزلة فى الصحراء

خير من العيشة فى المدينة

وَلُّوا الْمَدِينَةَ وَجْهكُمْ وَدَعُونِى أَنَا فِي هَوَاى وَعُزْلَتِى وَجُنُونِى
عُودُوا إِلى الْبَلَدِ الأَمِينِ وَغَادِرُوا بَلَداً لِبُعْدِ النَّاسِ غَيْرَ أَمِينِ
عُودُوا إِلى حَيْثُ النَّمائِم والأَذَى وَالْعَيْشُ بَيْنَ وَسَاوِسٍ وَظُنُونِ
حَيْثُ الرَّذَائِلُ فِى مَرَافِلِ عِزَّةٍ حَيْثُ الْفَضَائِلُ فِى غَلائِلِ هُونِ
حَيْثُ الضِّيَافَةُ للنَّزِيلِ الْمرتَجَى مَا شَاءَ حَتَّى الْعِرْضِ حَتَّى الدينِ
حَيْثُ التِّجَارَةُ بِالْودَادِ وَ بِالْقِلَى وَبِكُلِّ رأْيٍ فِى الْحَيَاةِ أَفِينِ(١)
حَيْثُ المَصُونُ هُوَ الحُطَام الْمُقْتَنَى وَعَفَافُ ذَاتِ الخِدْرِ غَيْرُ مَصُونِ(٢)

---

(١) القلى : البغض . أفين : ضعيف .

(٢) الحطام : ما تكسر من الشئ . يريد : التافه .

حَيْثُ الْمُسِيءُ إِلَى أَخِيـــهِ بِمَنِّهِ طَاوِي الضُّلُوعِ عَلَى نَدًى مَمْنُونِ(١)
حَيْثُ الْفَتَى كَالشَّيْخِ يَحْنِي رَأْسَهُ وَيَرَى الْحَقِيـــقَةَ رُؤْيَةَ التَّخْمِينِ
بَادِي الـــهُمُومِ وَلا هُمُومَ وَإِنَّمَا هُنَّ الْبَقَايَا مِنْ طِلا وَمُجُونِ(٢)
تِلْكَ الْحَضَارَةُ لاَ أُحِبُّ خِلالَهَا وَأَرَى مَحَاسِنَهَا شِبَاكَ فُتُونِ
مَاذَا دَهَانِي فِي اخْتِبَارِي أَهْلَهَا مِنْ كِذْبِ آمَالِي وَصِدْقِ عُيُونِي؟

---

(٣) المن : تكرار ذكر النعمة ، وممنون : مجحود ، أو محسوب لا يفتأ بذكره .
(٤) الطلا : الخمر .

٢٦ من غريب

إلى عصفورة مغتربة

نظمت فى جنيف بقرب تمثال جان جاك روسو . وقد رأى الشاعر على شجرة طائراً يشبه أن يكون مصرياً .

هى خطرة فكر للناظم ألف أن يرسل مثلها فى موعد من كل عام تحية إلى فقيد عزيز فى عالم الغيب . وقد جعل مدارها فى هذه القصيدة على عصفورة اشتبهت عليه بين أن تكون مجلوبة من مصر للاتجار أو قاطعة من قواطع الأطيار .

يَا مَنْ شَكَتْ أَلَمِى مَعِى ... طَيِّبْتِهِ فِى مَسْمَعِى
شكْوَاكِ أَلْطَفُ بَلْسَمٍ ... لِجَرَاحَةِ الْمُتَوَجِّعِ
مَا أَعْلَقَ الشَّدْوَ الرَّخِيمَ ... بِكُلِّ قَلْبٍ مُولَعِ
غَنَّى أَهَازِيجَ النَّوَى ... وَعَلَى نُواحِى أَوْقِعِى[1]

(١) الأهازيج : جمع أهزوجة ، وهى ما يترنم به من الأغانى .

بِنْـتَ «الْكِنَـانَـــةِ» مَا رَمَـى   بِكِ بَيْنَ هَـــذِى الأَرْبُـــعِ ؟
فِيـــمَ اغْتَرَبْتِ وكُنْـــتِ فِى   ذَاكَ الأَمَانِ الأَمْنَعِ ؟
أَحُمِلْتِ مَحْمَــــلَ سِلْعَةٍ   جَلَبــــاً بِغَيْرِ تَطَـوُّعِ ؟[1]
فَفَـرَرْتِ مِنْ قَـــفَـصِ الْكَفِـ   ـيـلِ إِلـى الْفَضَــاءِ الأَوْسَـعِ
وَبِوُدِّكِ الْعَـوْدُ الْقَـــرِيـ   ـبُ لِسِــرْبِكِ الْمُـــتَمَتِّعِ
فِى «مِصْرَ» مَصْرَخَـةِ الـلَّهِيـ   ـفِ ومَلْجَإِ الْمُتَفَــزِّعِ
«مِصْرِ» السَّمَاءِ الـصَّحْوِ، «مِصْـ   ـرِ» الـدِّفْء، «مِصْرِ» الْمَشْبَعِ
«مِصْرَ» الَّتــِى مَا رِيـــعَ سَا   كِنُهَا بِرِيـــــحٍ زَعْزَعِ[2]
حَيْــثُ الْمَرَاعِــى وَالـنَّدَى   لِلْمُرْتَــوِى والْمُرْتَعِـــى
حَيْثُ الـــسَّوَاقِـــى الْحَانِيَا   تُ عَلَى الـطُّيُورِ الــرُّضَّعِ
حَيْــثُ الْحَــرَارَةُ مَا تُـــوَا   لِ رَبِيــبَهَا يـتَزَعْـزَعِ ؟
أَمْ أَنْـــتِ مِنْ تِلْكَ الجَـــوَا   لِى فِـى الْفُصُولِ الأَرْبَـعِ[3]

---

(١) الجلب : ما تجلبه من سلعة بلد إلى بلد آخر .

(٢) زعزع : شديدة تزعزع الأشياء .

(٣) الجوالى : جمع جالية ، وهى الطائفة المهاجرة من وطن إلى وطن .

لاَ تَعـــــــرِفِينَ مِــنَ الزَّمَــا ... نِ سِــــــــوَى المَكَانِ المُمْرِعِ
تَتَبـــــينَ مِنْ مُتَرَبَّــــــعٍ ... أَبَـــــداً إِلَـــــى مُتَرَبَّــــعِ
بِهِدَايَـــــةٍ صَحَّـــتْ عَلَـــى ... طَلَـــبِ الأَحَـــبِّ الأَنْفَـــعِ
وَثُقُــــوبِ فِكْـــرٍ فِى الـــتَّوَجُّـ ... ـــهِ وَاخْتِيَـــارِ المَنْجَـــعِ[1]
وَغَنَـــاءِ رَأْيٍ عَـــنْ دَلاَ ... لَةِ إِبْــــرَةٍ أَوْ مَهْيَـــعِ[2]
وَقَنَاعَـــةٍ مِـــنْ قِسْـــمَةٍ ... لَكِ عِنْــدَ خَيْرِ مُــــوَزِّعِ
فِى الـــسِّرْبِ أَنَّى سَـــارَ لاَ ... تَخْشَـــيْنَ سُــــوءَ المَوْقِعِ

❁

الـــسِّرْبُ مَا فِـــى الـــسِّرْبِ مِنْ ... عَجَبٍ لِذِى قَلْبٍ يَعِـــــى
تَنْضَـــمُّ حِـــينَ جَـــلاَئِهِ ... أَشْـــتَاتُهُ فِـــى مَجْمَـــعِ
مِنْ غَيْرِ مِيـــــــــعَادٍ تَقَدَّ ... مَ لِلـــرَّحِيـــلِ المُزْمَـــعِ
فَـــإِذَا عَـــلاَ أَزْرَى عَلَـــى ... سِرْبِ الـــسَّفِينِ المُقْلِعِ[3]

---

(١) ثقوب الفكر : نفاذه . المنجع : الموضع المقصود لطلب العيش .

(٢) المهيع : الطريق الواسع .

(٣) أزرى عليه : عابه وتنقصه ، والمراد : فاقه .

آلآفُ آلآفِ بغَـــــــيـــــرِ تَلَكُّؤٍ وتَضَعْضُـعِ

وَبِلاَ هَزِيـــزِ تَقَلْقُــــلٍ   وبِلاَ أَزِيــــزِ تَخَلُّــــعِ

وَبِلاَ اصْطِـــدَامٍ فِى الـــزِّحَا   مِ مُحَطِّـــمٍ وَمُصَـــدِّعِ

إِنْ تَلْتَئِـــمْ فَمُرُورُهَـــا   كَالْعَــارِضِ الْمُتَقَشِّـــعِ[1]

أَوْ تَفْتَــرِقْ فَهِـــىَ الْجُيُــو   شُ بِقَـــادَةٍ وَبِـــتُبَّـــعِ[2]

كُلٌّ يَســـيـــرُ وَلاَيُخَـــا   لِفُ فِـــى الـطَّرِيـــقِ الْمُشْرَعِ[3]

كُـــلٌّ يُجَـــارِى رَأْيَـــهُ   وَالـــرَّأْىُ غَيْـــرُ مُـــوَزَّعِ

كُـــلٌّ كَرَبَّـــانٍ يُدِيـــرُ زِمَـــامَ فُلْكٍ طَيِّـــعِ

❁

بِالْيُمْنِ يَاغِرِّيـــدَةَ الْـــوَادِى إِلى الْـوَادِى ارْجِـــعِى

إِنِّى لأَسْـــمَعُ فِـــى غِنَـــائِـــكِ رَقْرَقَـــاتِ الأَدْمُـــعِ

وَيَرُوعُنِـــى شَـــجَنٌ بِـــهِ   كَشَجِـــىٍّ بِحَلْـــقِ مُـــوَدِّعِ[4]

---

(١) العارض : السحاب . المنقشع : المتزايل .

(٢) تبع : جمع تابع .

(٣) المشرع : المبيّن .

(٤) الشجى : ما يعترض فى الحلق من عظم ونحوه .

تِلْكَ الْبَرَاعَةُ مَا اسْتَتَمَّـ ـتْ فِى جَمَالٍ أَبْرَعِ

❁

جِسْمٌ كَحُقٍ لِلْحَيَا ةِ مُعَرَّقٍ وَمُضَلَّعِ[1]
يَغْشَاهُ ثَوْبٌ دُبِّجَتْ أَلْوَانُهُ يَدُ مُبْدِعِ
أَلْمَتْنُ يَزْدَهِرُ ازْدِهَا رَ الأَخْضَرِ الْمُتَجَمِّعِ
وَالصَّدْرُ فِيمَا دُونَهُ يُزْهَى بِأَحْمَرَ مُشْبَعِ
وَالْجِيدُ زِينَ مِنَ النُّضَا رِ بِحِلْيَةٍ لَمْ تُصْنَعِ
دَعْ كُلَّ نَقْشٍ فِى الْخِلاَ لِ مُوَشَّمٍ وَمُبَقَّعِ
وَدَعِ الْقَوَادِمَ تَسْتَقِلَّ بِرِيشِهَا الْمُتَنَوِّعِ[2]
آيَاتُ خَلْقٍ مَنْ يُجِلْ نَظَراً بِهَا يَتَخَشَّعِ
أَعْظِمْ بِهَا فِى ذَلِكَ الْجِـ ـسْمِ الصَّغِيرِ الأَضْرَعِ[3]
لَوْلاَ الْحَرَاكُ لَخِيلَ مِنْ ثَمَرٍ هُنَالِكَ مُونِعِ

---

(١) معرق ومضلع : ذو عروق وأضلاع .
(٢) القوادم : الريش فى مقدم الجناح .
(٣) الأضرع : الضعيف .

حُلْوُ الـشَّمـائِلِ إنْ يُجَا ... رِ الـطَّبْعَ أَوْ يَتَطَبَّع
يـرنُو بِفَائِـضَتَىْ سَنًى ... كَالْجَوْهَـرِ المُتَطَلِّع
يَسْهُو بِغَاشِيَتَيْنِ تَنْسَـ ... ـدلاَنِ سَدْلَ الـبُرْقُع
مُتَطَـاوِلُ الْخَـدَّيْنِ . فِـى ... وَجْهٍ حَـدِيدِ الْمُـقَطَّع
مِنْقَـارُهُ كَقُـلاَمَتَـ ... ـيْنِ مِنَ الـظَّلاَمِ الأَسْفَعِ(١)

❁

أُخْتَ الـشَّوَادِى الخُضْرِ حَا ... نَتْ لَفْتَـةُ المُتَنَـوِّعِ(٢)
بِكِ نَزْعَتِى نَحْـوَ الْحِمَـى ... وَعَـدَاكِ قَيْـدِىَ فَانْزِعِى(٣)
أَلْقِى الْـوَدَاعَ تَأَهُّبـاً ... وَاسْتَـوْفِزِى وَاسْتَجْمِعِى
لله وَثْبَتُـكِ الْبَدِيعَـ ... ـةُ إِذْ وَثَبْـتِ لِتَطْلُعِى
حَيْثُ الـضُّحَى مُتَسَاكِبٌ ... كَطِـلاً بِكَـفٍّ مُشَعْشِعِ(٤)

(١) كقلامتين : كقطعتين ، ومنه قلامة الظفر . والأسفع : الأسود .

(٢) الشوادى : جمع شادية ، وهى المغردة . والمتنوع : المتقدم فى السير ، والمراد : المسافر .

(٣) عداك : فاتك

(٤) الطلا : الخمر .

وَالـرِّيـحُ تَحْضُنُ آخِرَ الـنَّغَـ ـمَاتِ حَضْـنَ الْمُرْضِـعِ
وَالـدَّوْحُ مَيَّـادُ الـرُّؤو سِ مُشَيَّـعٌ بِالأَذْرُعِ
وَتَعَطُّـفُ الأَفْنَـانِ شِبْـ ـهُ تَقَصُّفٍ فِـى أَضْلُعِ

✿

خُضْـتِ الـضِّيَاءَ عَلَى غَـوَا رِبِ مَوْجِـهِ الْمُتَدَفِّـعِ(١)
تَتَصَاعَدِيـنَ وَمَـا الـشُّهَا بُ الْمُسْتَطَـارُ بِأَسْـرَعَ
يَرْمِى جَنَـاحَـاكِ الْمَهَا وِىَ بِالـشِّعَاعِ الـسُّطَّعِ(٢)
وَتُرَاعُ رَائِعَـةُ الـنَّهَا رِ لِوَهْجِـكِ الْمُتَفَـرِّعِ
وَلَشِكَّةُ الأَلْـوَانِ حَوْلَكِ كَالـنِّصَالِ الـشُّرَّعِ(٣)
مَزَّقْتِ أَسْـتَارَ الـسَّنَى عَـنْ عَالَـمٍ مُتَقَنِّـعِ(٤)
جَـمٍّ الْخَلاَيَـا فِى حَوَا شِـى الـنُّورِ خَافِى الْمَوْضِـعِ

---

(١) غوارب الموج : اعاليه .

(٢) الشعاع (بكسر الشين) : جمع شعاع (بضم الشين) .

(٣) الشكة : النوع من شك السلاح . الشرّع : المسددة .

(٤) عالم متقنع : عالم الهباء .

أَنْزَلْتِ هَـــوْلاً فِـــى قُرَاهُ　　وَفِى الـــذَّرَائِـــرِ أَجْمَعِ(1)
أَنْظَـــرْتِ عَـــنْ كَثَبٍ إِلَى　　مَـــــلأٍ هُنَـــاكَ مُرَوَّعِ
هِىَ وَقْعَةٌ فِـــى الْجَـــو بَيْـــ　　ـــنَ هَبَائِـــهِ الْمُتَلَمِّـــعِ
هَبَّـــتْ خَلاَئِقُـــهُ عَلَـــى　　ذَاكَ الْمُغِيـــرِ الْمُفْـــزِعِ
فِى أُسْـــدِ غَـــابٍ تَسْتَطِيـــ　　ـــرُ وَفِـــى ذُبَـــابٍ وُقَّـــعِ
يَجْدُدْنَ حَرْبـــاً كَالْكُمَـــا　　ةِ وَكَالـــرُّمَاةِ الـــرُّكَّعِ(2)
يُـــرِرْنَ أَوْ يَفْـــرِرْنَ　　بَيْنَ تَفَـــرُّدٍ وَتَجَمُّـــعِ
يَرْمِينَ بِـــالـــرُّجُمِ الـــدِّقَا　　قِ وَبِـــالـــنُّجُـــومِ الـــظُّلَّعِ(3)

❁

تِيـــهِى بِغَارَتِـــكِ السَّنِيَّةِ　　فِـــى الْمَجَـــالِ الأَرْفَـــعِ
مَا شَأْنُ «كِسْـــرَى» فِـى الْفُتُـــو　　حِ وَمَـــا مَفَاخِـــرُ «تُبَّـــعِ» ؟
لا مَجْـــدَ يَبْلُغُ مَجْـــدَكِ الأَسْنَـــ　　ـــى بِـــذَا الْمَفْـــرَعِ(4)

---

(1) الذرائر : جمع ذرية ، وهى الولد والنسل .

(2) يجددن : يجتهدن ويشتددن .

(3) الظلع : جمع ظالع وهو الذى يغمز فى مشيته .

(4) المفرع : المكان العالى .

لاَ صَفْـــــوَ أَرْوَحُ مِـــــنْ   تَحَيُّرِ خَصْمِـــكِ الْمُتَضَعْضِـــعِ
لاَ سِلْمَ أَبْهَجُ مِـنْ تَهـــا   يُلِ رُكْنِـــهِ الْمُتَزَعْـــزِعِ
أُمَمُ الأَثْـــيرِ جَمَالُهَـــا   فِـــى أَنْ تُرَاعَ ، فَرَوِّعِـــى
وَتَتِمُّ آيَـــةُ حُسْـــنِهَا   بِالأَمْـــنِ بَعْـــدَ تَفَزُّعِ
فَإِذَا مَضَيْتِ وَلَـمْ تُصَـبْ   بِبَلاَئِـــكِ الْمُتَوقَّــــعِ
بَلْ جُــزْتِ بِالْحُسْنَى وَسَـا   ءَ تَـــوَرُّعُ الْمُتَـــوَرِّعِ
ثَابَتْ إِلَـــى فَرَحٍ ، كَـــذَ   لِكَ تَوبَـــةُ الْمُتَسَـــرِّعِ
فَسَدِيمُهَـــا كَغُبَـــارِ ذُرٍ   سَـــاطِعٍ فِـــى مَسْطَعِ(١)
وَالْجَـــوُّ تَمْـلأُهُ نُسَـا   لاَتُ الْـــبُرُوقِ الْـــلُّمَّعِ(٢)

❁

سِيــــرِى وَوَلِّى صَـدْرَكِ الْـ   مُشْتَـاقَ شَـــطْرَ الْمَرْبَـــعِ(٣)

---

(١) السديم : رقيق الضباب .

(٢) النسالة : يراد بها ما يتطاير من البروق فى عرض السماء ، وهى فى الأصل ما يسقط من الصوف أو الشعر .

(٣) المربع : يراد به الوطن ، وهو فى الأصل المنزل فى الربيع .

حَتَّـــى إذَا مَـــا جِئْتِـــهِ   وشَرَعْتِ أَعْـــذَبَ مَشْـــرِعِ(١)
وَشَـــدَوْتِ مَا شَـــاءَ الـــسُّرُو   رُ عَلَـــى ارْتِقَـــاصِ الأَفْرُعِ
عُوجِـــــــــى بِبُسْتَانٍ هُنَا   لِكَ فِـــى الْعَرَاءِ مُضَيَّـــعِ
صَفْصَافُـــــهُ مُتَنَـــــاوِحٌ   وَالـــنَّوْرُ بَـــادِى الْمَدْمَـــعِ
لِى فِى ثَرَاهُ دَفِيـــــــــنَةٌ   كَـــــالْكَنْزِ فِى الْمُسْتَوْدَعِ
تُخْفِـــى الأَزَاهِـــرُ قَبْرَهَـــا   عَـــنْ أَعْيُنِ الْمُســــــتَطْلِعِ
كَانَتْ مِـــــــثَالاً لِلْمَحَا   سِنِ فِـــى مِثَـــالٍ أَرْوَعَ
فَتَحَـــوَّلَتْ لُطْفَـــــاً إِلَى   طَيْـــفٍ أَرَقَّ وَأَبْـــدَعَ
طَيْـــفٍ يَشِـــفُّ بِهِ الْبِلَى   عَنْ رِفْعَـــةٍ وتَمَنُّـــعِ
فَإِذَا الـــــــسَّمَاءُ قَرَارُهُ   وَالـــنَّجْمُ بَعْـــضُ الْيَرْمَـــعِ(٢)
قُولِـــــــــى لَهُ إِنْ جِئْتِهِ   يَا أُنْسَ هَـــذَا الْبَلْقَـــعِ(٣)
أَتُحِسُّ فِى هـــذَا الـــثَّرَى   نَبَضَانَ قَلْـــبٍ مُوجَـــعِ ؟

---

(١) شرعت : جئت إلى الماء . المشرع : المنهل .

(٢) اليرمع : الحصى اللامع .

(٣) البلقع : الأرض المقفرة .

هـــذَا حَنِـــينٌ مِـــنْ فُؤَا ... دِ مُحِبِّكِ الْمُتَـــــــــفَجِّعِ
عَدَتِ الْعَـــوَادِي جِسْـــمَهُ ... عَنْ قُرْبِ هــــذَا الْمَضْجَـــعِ
فَمَضَـــى بِأَحْــزَنِ مَا يكُــو ... نُ أَخُــو الأَسَــى وَبِأَجْـــزَعِ
وَنَوَى الـــضَّرِيـــحِ أَضَـــرَّهُ ... كَنَـــواكِ يَـــوْمَ المَصْـــرَعِ

❁

نِعْمَ الـشَّفِـــيعَةُ أَنْتِ لِــى ... عِنْــدَ المَلاَئِـــكِ ! فَاشْفَعِى
مَنْ لِى بِصَـــوْتٍ مِثْلِ صَـــوْ ... تِكِ مُبْلِـــغٍ لِتَضَرُّعِـــــى ؟
يُنْهَى إِلَـــى ثَاوِى الْجِنَـــا ... نِ فَيَسْتَجِيـــبُ وَقَـــدْ دُعِــى
إِنَّ الَّذِى أَبْكِيـــــهِ وَهْــــ ... ـــوَ مِنَ الـــنَّعِيـــمِ بِمَرْتَـــعِ
بَرٌّ عَلَى رَغْـــمِ الـــفِرا ... قِ بِعَبْــــدِهِ الْمُتَخَضِّــــعِ
كَمْ زُرْتُــــهُ فِـــى يَقَظَةٍ ... وَأَلَـــمَّ بِــى فِـــى مَهْجَـــعِ
يَدْنُـــــو إِلَـــيَّ تَنَزُّلاً ... عَـــنْ عَرْشِـــهِ الْمُتَرَفِّـــعِ
وَكَـــمِ الْتَمَسْــتُ لِصَوْتِــهِ ... رَجْعـــاً فَحَقَّـقَ مَطْمَعِــى

قَطَعَ الـــغُيُوبَ وَجَـــاءَنِى　　بِعَرُوضِـــهِ المُتَقَطِّـــعِ[1]
هَـــذَا الْوُفَـــاءُ وَفَـــاؤُهُ　　فَادْعِيـــــهِ لاَ يَتَمَنَّـــعِ
بِهُتَـــافِ لَوْعَتِـــىَ اهْتِفِـــى　　وَصَدَى حَنِـــينِى رَجِّعِـــى
حَتَّى يُجِـــيبَ ، فَأَنْصِتِـــى　　بِضَمِيـــرِىَ المُتَسَمِّـــعِ !

(١) العروض : المراد به الشعر .

٢٧ إلى حافظ إبراهيم

في الحفلة التي أقيمت لتكريمه عام ١٩١٢

يَا شَاعِرَ النِّيلِ جَارِ النِّيلَ بِالشِّيَمِ ... وَحَاكِ أَطْيَارَهُ بِالشَّدْوِ وَالنَّغَمِ
فِي ضِفَّتَيْهِ وَفِي تَغْرِيدِ صَادِحِهِ ... مَا فِي نَظِيمِكَ بَيْنَ الْوَحْيِ وَالْكَلِمِ
وَفِي مَعَانِيكَ مِنْ أَرْوَاحِ جَنَّتِهِ ... أَشْفَى النُّسَيْمَاتِ لِلأَرْوَاحِ وَالنَّسَمِ(١)
شِعْرٌ كَأَنَّ مَفِيضَ الْخَيْرِ سَالَ بِهِ ... عَلَى النُّهَى سَيْلُهُ فِي الْقَاعِ وَالأَكَمِ(٢)
كِلاَهُمَا مُخْصِبٌ قَحْلاً فَمُخْرِجُهُ ... حَقْلاً وَمُؤْنِسُهُ فِي وَحْشَةِ الدِّيَمِ(٣)
يَطْغَى فَيَغْشَى عَبُوسَ الْوَجْهِ أَمْرَدُهُ ... وَيَنْجَلِي عَنْ عِذَارٍ فِيهِ مُبْتَسِمِ(٤)

---

(١) الأرواح : جمع ريح وهو الهواء . النسم : النفوس .

(٢) القاع : الأرض المنخفضة . الأكم : التلال .

(٣) في وحشة الديم: أي في غيبتها . والديم جمع ديمة : وهي المطرة الدائمة .

(٤) العذار : جانب الوجه .

بِذَلِكَ الشِّعْرِ صِفْ «مِصْراً» وأُمَّتَهَا … صِفْ كُلَّ مَعْنًى بِهَا كَالنَّافِحِ الشَّبِمِ

صِفْ ذَلِكَ اللُّطْفَ لَوْ عَزَّتْ بِهِ أُمَمٌ … يَوْماً لَعَزَّتْ بِهِ «مِصْرٌ» عَلَى الأُمَمِ

صِفْ ذَلِكِ الأُنْسَ يَجْرِي مِنْ مَنَابِعِهِ … عَذْبَ المَنَاهِلِ مَبْذُولاً لِكُلِّ ظَمِي

صِفْ ذَلِكِ الرِّفْقَ يَقْضِي فِي تَرَفُّقِهِ … مَالَيْسَ تَقْضِي رِقَاقُ السُّمْرِ والخُذُمِ(١)

صِفْ مَا يَشَاءُ جَمَالُ الطَّبْعِ مِنْ دَعَةٍ … وَمَا يَشَاءُ جَلاَلُ النَّفْسِ مِنْ كَرَمِ

تِلْكَ الْخَلاَئِقُ لاَ يَجْلُو رَوَائِعَهَا … نَظْمٌ كَنَظْمِكَ مِنْ جَزْلٍ وَمُنْسَجِمِ

❀

إِنِّى أَوَدُّ لهَا وَصْفاً وَيَرْجِعُنِى … عَنْهُ قُصُورِى إِذَا حَثَّ الْهَوَى قَلَمِى

مَنْ لِى بِنَظْمِكَ أَسْتَدْنِى بِمُعْجِزِهِ … أَقْصَى مَرَامٍ لآمَالِى عَلَى هِمَمِى

حَمْداً «لِمِصْرَ» وَإِطْرَاءَ لأُمَّتِهَا … عَنْ صَادِقٍ فِيهِمَا عَالٍ عَنِ التُّهَمِ

«مِصْرُ» الْحَضَارَةُ وَالآثَارُ شَاهِدَةٌ … «مِصْرُ» السَّمَاحَةُ مِصْرُ المَجْدُ مِنْ قِدَمِ

مِصْرُ الْعَزِيزَةُ إِنْ جَارَتْ وَإِنْ عَدَلَتْ … «مِصْرُ» الْحَبِيبَةُ إِنْ نَرْحَلْ وَإِنْ نُقِمِ

نَحْنُ الضُّيُوفَ عَلَى رَحْبٍ وَمَكْرُمَةٍ … مِنْهَا وَإِنَّا لَحَفَّاظُونَ لِلذِّمَمِ

جِئْنَا حِمَاهَا وَعِشْنَا آمِنِينَ بِهِ … مُمَتَّعِينَ كَأَنَّ العَيْشَ فِى حُلُمِ

---

(٥) الخذم : السيوف .

فـأيُّنا قَابَلَ النُّعمَى بسيِّئَةٍ فـإنّنَا مُلْزِمُوهُ أَنْكَرَ الْحُرَمِ[1]
وَمَنْ يَنَلْهُ بإيذَاءٍ فـإنَّ بنَا ضِعفَيْهِ مِنْ أَثَرِ الإيذَاءِ وَالأَلَمِ
لكِنَّ قَوْمِيَ أَبْرَارُ الـقُلُوبِ بِهِ دَعِ المُرِيبَ الَّذِى يَدْعُو إلى وَهَمِ

❀

لاَ بَارَكَ اللهُ فِى سَاعٍ بِتَفْرِقَةٍ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ وَالْجَـارَيْنِ مِنْ أَمَمِ[2]
يَاحَافِظَ الْخَيْرِ كُنْ فِى عَقْدِ وُدِّهِمَا فَرِيدَةَ العِقْدِ يَلْبَثْ غَيْرَ مُنْفَصِمِ
أَكْشِفْ بِحَزْمِكَ أَسْتَارَ الْحَفِيظَةِ عَنْ فَخٍّ تُصَادُ بِهِ الأَعْرَابُ لِلْعَجَمِ
أَلشَّاعِرُ الْحَقُّ مَنْ يَجلُو الشُّعُورُ لَهُ شَمْسـاً مِنَ الْوَحْىِ فِى دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
بَيْنَ النَّبِيِّينَ وَالسُّوَاسِ نُصَّ لَهُ مِنَ العُلَى مِنْبَرٌ لِلرَّأْىِ وَالْحُكُمِ
وَعَلَّ أَيْسَرَ شَىْءٍ فِى مَحَامِدِهِ تَجْوِيدُ قَوْلٍ مُقَفًّى اللَّفْظِ مُنْتَظِمِ
فَخَارُهُ حَيْثُ يَلْقَى رَحْمَةً وَهُدًى وَحَيْثُ يَنْهَى عَنِ الأَهْوَاءِ وَالنِّقَمِ
وَحَيْثُ يَحْمِى الْحِمَى مِنْ ضَلَّةٍ وَأَسًى وَحَيْثُ يَدْعُو إلى الأَخْطَارِ وَالعِظَمِ
هَذَا الَّذِى أَنْتَ يَاابْنَ النِّيلِ فَاعِلُهُ وَذَاكَ مَجْدُكَ مَجْدُ النِّيلِ وَالْهَرَمِ

---

(١) الحرم : جمع حرمة ، وهى الحرام .
(٢) من أمم : من قرب .

٢٨ محاورة مشتركة

بين حافظ إبراهيم وخليل مطران

أنشدها الشاعران فى حفلة خيرية لرعاية الأطفال بدار الأوبرا

حافظ

هَذَا صَبِىٌّ هَائِمٌ ... تَحْتَ الظَّلاَمِ هُيَامَ حَائِرْ

أَبْلَى الشَّقَاءُ جَدِيدَهُ ... وَتَقَلَّمَتْ مِنْهُ الأَظَافِرْ

فَانْظُرْ إِلَى أَسْمَالِهِ ... لَمْ يَبْقَ مِنْهَا مَا يُظَاهِرْ(١)

هُوَ لاَ يُرِيدُ فِرَاقَهَا ... خَوْفَ الْقَوَارِسِ وَالْهَوَاجِرْ(٢)

لَكِنَّهَا قَدْ فَارَقَتْهُ ... فِرَاقَ مَعْذُورٍ وَعَاذِرْ

إِنِّى أَعُدُّ ضُلُوعَهُ ... مِنْ تَحْتِهَا وَاللَّيْلُ عَاكِرْ(٣)

---

(١) يظاهر : يعين ، أى يصلح للبس .

(٢) القوارس : شدائد البرد ، والهواجر : شدائد الحر . (٣) عاكر : مقبل بظلامه .

أَبْصَــرْتُ هَيْكَــلَ عَظْمِــهِ فَذَكَــرْتُ سُــكَّانَ المَقَابِرْ
فَكَــأَنَّمَا هُــوَ مَيِّتٌ أَحْيَاهُ «عِيــسَى» بَعْدَ «عَاذِرْ»
قَدْ كَــادَ يَهْدِمُــهُ النَّســيمُ وَكَــادَ تَذْرُوهُ الأَعَاصِرْ
وَتَرَاهُ مِــنْ فَرْطِ الْهُزَا لِ تكَــادُ تَثْقُبُهُ المَوَاطِــرْ
عَجَبــاً أَيُفْرِسُهُ الطَّــوَى فِي قَلْبِ حَاضِرَةِ الْحَوَاضِــرْ ؟
وَتَغُــولُهُ الْبُؤْسَــى وَطَرْ فُ «رِعَايَةِ الأَطْفَالِ» سَاهِرْ ؟
كَمْ مِثْلِهِ تَحْــتَ الــدُّجَى أَسْــوَانَ بَادِي الضُّرِّ حَائِـرْ[1]
خَزْيَانَ ، يَخْرُجُ فِــى الظَّلاَ مِ خُــرُوجَ خُفَّــاشِ المَغَــاوِرْ
مُتَلَفِّعــاً جِلْبَــابَــهُ مُتَرَقِّبــاً مَعْــرُوفَ عَابِرْ
يَقْــذَى بِرُؤْيَتِــهِ ، فَــلاَ تَــلْوِى عَلَيْــهِ عَيْــنُ نَاظِــرْ

مطران

لَــوْ كَــانَ فَــذًّا . . إِنَّمَــا هُــوَ عَاثِرٌ مِــنْ أَلْــفِ عَاثِرْ
أُنْظُرْ إِلى الــيُســرَى ، وَكَمْ تَدَعُ المَيَامِنُ لِلْــمَيَاسِرْ

---

(١) أسوان : حزين .

هَـــــذِى فَتَـــاةٌ حَالُهَــــا   أَدْهَـــى وَأَفْطَـــرُ لِلْـــمَرَائِـــرْ
هِىَ بَضْعَةٌ لِشَقِـــــــــــيَّةٍ   زَلاَّءَ مَـــا كَـــانَتْ بِعَاقِـــرْ[1]
فِى مَشْيِــــــهَا وَشُحُوبِهَـــا   سِيَمَـــــــا لِتَرْبِيَةِ الْعَوَاهِـــرْ
وَارَحَمَـــــــــتَا لِصِبَاكِ يَا   شِبْهَ الأَمَالِيــــــدِ الـنَّوَاضِرْ[2]
أَكَـــذَاكِ يُلْقَى فِـــى نَجَـــا   سَـاتِ الْمَوَاطِـئِ بِالأَزَاهِـــرْ ؟
فَإِذَا رَخُصْـــــنَ ، أَلاَ كَـــرَا   مَةَ لِلصَّغِيـــرَاتِ الـطَّوَاهِرْ ؟
أَتَـــرَى تَثَنِّيـــــــــهَا وَلَفْـ   ـــتَةَ كُـــلِّ سَائِـــرَةٍ وَسَائِـــرْ ؟
هُمْ يُعْـــــجَبُونَ بِلُطْـفِ مَا   تُبْدِيـهِ مِـــنْ غَنَجِ الـفَوَاجِرْ[3]
وَكَـــــأَنَّهُمْ لاَ يَجْــــزَعُو   نَ لِمِثْلِ هَـــذِى فِى الـكَبَائِـــرْ
وَكَثِيـــــــــرُهُمْ مُسْـتَهْزِئٌ   وَقَلِيـــلُهُمْ إِنْ بَرَّ زَاجِـــــرْ
لاَ يَشْعُرُونَ بِأَنَّ تِلْـــــــــــ   ـكَ مِنَ الْفَـوَادِحِ فِى الْخَسَـائِرْ

---

(١) بضعة : ابنة . الزلاء : التى فسقت .

(٢) الأماليد جمع أملود : وهو الغصن الرطيب .

(٣) غنج : دلال .

حافظ

قَعَدَتْ شُعُوبُ الشَّرْقِ عَنْ   كَسْبِ المَحَامِدِ وَالمَفَاخِرْ
فَوَنَتْ، وَفِى شَرْعِ التَّنَا   حُرِ : مَنْ وَنَى لاَشَكَّ خَاسِرْ
تَمْشِى الشُّعُوبُ لِقَصْدِهَا   قُدُماً وَشَعْبُ النِّيلِ آخِرْ
كَمْ فِى الكِنَانَةِ مِنْ فَتًى   نَدْبٍ وَكَمْ فِى الشَّامِ قَادِرْ
لَكِنَّهُم لَمْ يُرْزَقُوا   رَأْياً وَلَمْ يَرِدُوا المَخَاطِرْ
هَذَا يَطِيرُ مَعَ الخَيَا   لِ ، وَذَاكَ يَرْتَجِلُ النَّوَادِرْ
جَهِلُوا الْحَيَاة ، وَمَا الْحَيَا   ةُ لِغَيْرِ كَدَّاحٍ مُغَامِرْ
يَجْتَابُ أَجْوَازَ الْقِفَا   رِ وَيَمْتَطِى مَتْنَ الزَّوَاخِرْ[1]
لاَ يَسْتَشِيرُ سِوَى العَزِيـ   ـمَةِ فِى المَوَارِدِ وَالمَصَادِرْ
يَرْمِى وَرَاءَ الْبَاقِيَا   تِ بِنَفْسِهِ رَمْىَ المُقَامِرْ
مَا هَدَّ عَزْمَ الْقَادِرِيـ   ـنَ «مِصْرَ» إلاَّ قَوْلُ «بَاكِرْ»
كَمْ ذَا نُحِيلُ عَلَى غَدٍ   وَغَدٌ مَصِيرَ اليَوْمِ صَائِرْ

---

(١) يجتاب : يسلك . أجواز القفار : بطون الصحارى . الزواخر : البحار .

خوَتِ الـــدِّيَارُ ، فَــــلاَ اختِرَا ع وَلا اقْتِصَــــادَ وَلا ذَخَائِـــرْ
دعْ مَــــا يُجَشِّمُهَــــا الْجُمُــــو دُ وَمَا يَجُـــرُّ مِنَ الْجَرَائِـــرْ[1]
فِي الاقْتِصَـــــادِ حَيَاتُنَــــا وَبَقَاؤُنَـــا رَغْمَ الْمُكَـــابِرْ
تَرْبُو بِهِ فِيــــنَا الْمَصَــــا نِعُ وَالْمَـــــزَارِعُ وَالْمَتَاجِـــرْ

مطران

يَامَــــنْ شَكَا حَـــالاً نُعَــــا نِى مِنْ عَوَاقِبِهَــــا الْمَخَاطِـــرْ
لاَ وَالَّـــــذِى وَلاَّكَ نَــــا صِيَـــةَ الــبَيَانِ بِـــلاَ مُكَابِرْ
لَمْ تَعْدُ مَا فــــى الــنَّفْسِ مِنْ شَتَّى الْهَوَاجِـسِ وَالْخَوَاطِـــرِ
أُضْحِى كَمـــــا أُمْسِى وَبِى شُغُلٌ مُغَـــادٍ أَوْ مُسَـــاهِرْ
يَا لَيْتَهُ الْهَمُّ الَّـــــــــذِى يَفْدِيـــهِ بِالـــرُّوحِ الْمُخَاطِرْ
لَكِنَّهُ هَـــــمٌّ بِمَــــــا يُرْدِى الأَبِـــىَّ مِنَ الــصَّغَائِــرْ
قَدْ تَقْتُلُ الْحَشَرَاتُ مَـــــنْ هَانَـــتْ عَلَيْهِ ، فَـــلاَ يُحَـــاذِرْ

.

(١) الجرائر : جمع جريرة ، وهى الذنوب والآثام .

وَيَعِيــشُ مَنْ رَامَ المَنِــيــــــ ـــعَةَ دُونَهَا أَجَمُ الــــقَسَاوِرْ[1]

دَعْنَـــا نُفَـــرِّجْ مَا بِنَـــا شَيْئـــــاً بِمُخْتَلِفِ المَنَاظِرْ

يِســــــرْ بِى إِلى الـدَّارِ الَّتِى شِيـــدَتْ عَلَى كَرَمِ الـعَنَاصِرْ

حَيْثُ المُرُوءَةُ بِالْفَقِيــــــــــ ــــرِ أَبَرُّ مِنْ أَدْنَى الأَوَاصِرْ

نَدْفَــعْ إِلَيــــــهَا ذَيْـنِـكَ الــطِّفْلَيْنِ وَالــلّهُ المُـــؤَازِرْ

مَنْ لِــى ومَـــنْ لَكَ يَا أَخِـى بِخَزَائِـــنِ الـــذَّهَبِ الــعَوَامِرْ

نَأْسُــو بِهِـــنَّ خَلاَئِقـــــاً دَارَتْ عَلَيْهِــــنَّ الــدوَائِــــر

وَنَشـــــيدُ مَاشَـاءَ الـسَّخَا ءُ مِنَ المَعَاهِـــدِ وَالمـــنَائِــــر

وَنَقُولُ : يَادَهْــــرُ احْتَكِـــمْ مَا أَنْتَ بَعْدَ اليَـــوْمِ جَائِــــرْ

✿

أَسُرَاةَ «مِصْرَ» وَقَادَةَ الأَلْبَــــــ ـــابِ فِيـــهَا وَالضَّمـــائِرْ :

رُدُّوا عَلَيْهَــــــا صِبْيَـــــةً لَعِـــبَ الْفَسَــادُ بِهِـــمْ يُقَامِرْ

---

(١) المنيعة أى الخطة الصعبة والأمر الجلل . الأجم : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف يتخذها الأسد عريناً له . القساور : الأسود .

أَلْقَى بِهِمْ فِي مَطْرَحِ الأَزْلاَمَ سِكِّيرٌ وَفَاجِرْ[1]
أَوْ فُرِّقُوا سِلَعاً وَفَرَّقَهُمْ مِنَ الْفُسَّاقِ تَاجِرْ
مَا يُصْبِحُونَ غَداً ؟ وَكَيْفَ مَصِيرُهُمْ بَيْنَ الْمَصَايِرْ ؟
مِنْ هَؤُلاءِ ، أَيَرتَجِى خَيْراً «لِمِصْرَ» أُولُو الْبَصَائِر ؟
هُمْ فِى جَمَاعَتِكُمْ صُدُوعٌ فَاجْبُرُواْ ، واللهُ جَابِرْ

(١) الأزلام : جمع زلم ، وهو السهم لا ريش له ، وكان العرب يتخذونها للّعب المسمى بالميسر . والمراد بمطرح الأزلام موطن المراهنات .

٢٩ الطباق البديـــع

شَعَرَاتٌ ضَحِكْنَ فِى فُودِكِ الأَسْـ ـــوَدِ . هَذِى نِهَايَةٌ فِى الــدَّلاَلْ
وَالــطِّبَاقُ الْبَدِيـــعُ أَلْطَفُ شَئٍ تَتَجَلَّى بِــهِ مَعَانِــى الْجَمَــالْ

٣٠ الصبابة السكرى

أَبَتِ الـــــــــصَّبَابَةُ مَوْرِداً   إِلاَّ شُؤُونَكَ وَهِيَ شَكْرَى
يَاسَاقِيَ الـــــــدَّمْعِ الَّذِي   مِنْ مُقْلَتَيْهِ يَسِيـــــــلُ خَمْرَا
لاَ غَرْوَ أَنْ بَدَتِ الـــــــصَّبَا   بَةُ وَهْيَ فِي عَيْنَيْكَ سَكْرَى

٣١ ليلة سهاد

قيلت فى أيّم حزينة ، ترقب النجوم وتناجيها بثّها[1]

طَالَ لَيْلِــي وَالـــثُّرَيَّا فِي سُهَادِ وَكِلاَنَا فِى ظَلاَمٍ وَحِدَادِ
إِيـــهِ يَا أُخْتِىَ فِى الْوَحْشَةِ هَلْ لكَ إِلْفٌ مِثْلَ مَنْ أَبْكيهِ مَاتْ ؟
فَتَنَاثَرْتِ ولَــــمْ يُبْقِ الأَسَى مِنْكِ إلاَّ دَمَعَاتٍ ذَاكِيَاتْ
كُنْتُ لاَ أَعْلَمُ والإِلْفُ مَعِى غَيْرَ أَنِّى فِى سُرُورٍ ونَعِيــــمْ
كُنْتُ إن أَنْظَرْكِ فى جُنْحِ دُجـى لا أرى فـيكِ سِوى درٍ وسـيم
لَمْ أَخَلْ أَنَّ الـــسَّمَوَاتِ الْعُلَى مُصْحَفٌ يُنْذِرُنَا بِالحَسَرَاتْ
لَمْ أخَلْ أَنَّ لِبُؤسِى آيَةً نُقِّطَتْ مِنْكِ بِتِلْكَ الْعَبَرَاتْ
ذَاكَ مَا عَلَّمَنِى بَعْدَ الـــغُرُورْ حُزْنُ قَلْبِـــى وَالأَسَى نَارٌ ونُورْ

(١) أيّم : المرأة التى مات عنها زوجها .

أَخْبرِينِـى أَكَمَـــــــا شبَّهَ لِى   مِنْ دَلاَلاَتِ الـــنُّجُومِ الـسَّافِرَهْ
ذَلِكَ الـكَوْنُ ، وكَمْ مِنْ عَجَبٍ   فِيـــــهِ يَبْدُو لِلْعيُونِ السَّاهِرَهْ ؟
أهــو الوَادِى الـزُّجَاجِـىُّ الَّذى   صَحَّ فِيـــهِ أَنَّهُ وَادِى الدُّمُوع ؟
كُلَّمَا اهْتَاجَ الأَسَى ظُلْمَتَهُ   نَضَحَتْ زُهْراً نَدِيَّاتِ الـسُّطـوعْ
عَبَرَاتٌ أُرْسِلَتْ حَائِـــــــــرَةً   مَا لِمَجْرَاهَا عَلَى الـــدَّهْرِ مَدَى
يَتَجَاوَرْنَ ومَا مِنْ مُلْتَقـــــــــىً   يَتَجَارَيْنَ فُـــــرَادَى أَبَـــــدَا
أَرْشِدِيـــــــنِي إنْ تَرَيْنِى واهِمَهْ   وأَنِيـــــرِينِى فَــــإِنِّى هَائِمَهْ
أَمْ لَعَلَّ الــــزُّهْرَ لِلْخُلْدِ كُوىً   وعُيُونٌ لِقُلُــــوبِ الْمُتَّقـــــينْ
مَنْ رَنَا مِنْهَا إلــــى مَا بَعْدَهَا   فَهُنَاكَ الْحَقُّ والعِلمُ اليَقِــــينْ
يَا إِلــــهِــى إنَّنــى جَاثِــيَةٌ   لَكَ فِى حُـــزْنٍ وَذُلٍ وَخُشُوعْ
يَا إِلـــهـــى إنَّنـــى غَاسِلَةٌ   قَدَمَ الــسَّعْدِ الْمُوَلِّى بِالــدُّمُوعْ
أَيُّهَا المَوْلَـى الَّـــذِى جَرَّعَنِــى   هَذِهِ الْغُصَّةَ مِنْ بَعْدِ الــــصَّفَاءْ
وَبِمَــــا مَتَّعَنِــــى عَاقَبَنِــــى   وَإلَيْـــهِ حَمْدُ مَا سَـــرَّ وَسَــاءْ
بِالْجِرَاحَـــاتِ الَّتِى تَشْفَعُ لِــى   وَبِحِرْمَانِى أَقْصَـــى أَمَلِـــى

أُنْضُ سِتْرَ الْغَيْبِ عَنِّى وَأَجِزْ ... لِضَمِيــرى نَظْرَةً فَوْقَ السَّدِيمْ[1]
لأَرَى وَجْهَ حَبِيــبى مُشْرِقــاً ... وَأَرَاهُ مُسْتَــــقِرًّا فِى النَّعِيــمْ

(١) السديم : شبه الضباب .

٣٢ وردة بيضاء

نبتت فى مسفك دماء

عَجَبٌ يَا ابْنَةَ الرِّيَاضْ مِنْكِ هَذَا التَّبَسُّمُ
وتَرَائِيكِ بِالْبَيَاض حَيْثُمَا وِرْدُكِ الدَّمُ
كَيْفَ آثَرْتِ يَا عَرُوسْ سَاحَةَ الْحَرْبِ وَالْحَرَبْ(١)
لِلتَّجَلِّى عَلَى رُؤُوسْ وَالْمُبَاهَاةِ فِى خَرِبْ
أَتَبَيَّنْتِ فِى الثَّرَى سُوءَ مَا دَبَّجَ النَّجِيعْ(٢)
أَنْكَرُ الْفَنِّ أَنْ تُرَى زِينَةُ الْمَوْتِ فِى الْبَدِيعْ
أَتَبَيَّنْتِ فِى الْعَقِيقْ حُمْرَةً شَابَهَا اخْضِرَارْ(٣)

---

(١) الحرب : الويل .

(٢) النجيع : الدم إذا كان مائلاً إلى السواد .

(٣) العقيق : المَسِيل .

شـــبْهَ ذَوْبٍ مِـنَ الْعَقَـــيقْ　　لاَحَ فِيـــــهِ انْطِفَـاءُ نَارْ[1]
أَتَبَيَّنْـــــتُ لِلْحَجَــــرْ　　عَارِضـــــاً كَالِحَ الـسُّطُوعْ[2]
فِيــــــهِ مَا يُؤلِمُ الـنَّظَـرْ　　مِـــنْ جِـــرَاحٍ وَمِـــنْ دُمُوعْ

❁

فَرَنَـــــتْ غَيْرَ غَاضِبَـــــهْ　　تَتَهَـــادَى بِـــــلاَ أَسَفْ
وَأَجَابَـــــتْ مُدَاعِبَـــــهْ　　لاَ تَلُمْنِـــى .... أَنَـا الـشَّرَفْ

---

(١) العقيق : الخرز الأحمر .
(٢) العارض : الجانب .

٣٣ تحية لشوقى

وقد عاد من منفاه بالأندلس

تلــــكَ الــــدُّجُنَّةُ آذَنَتْ بِجَلاَءِ وَبَدَا الصَّبَاحُ فَحَىَّ وَجْهَ ذُكَاءِ(١)
ألــعَدلُ يَجلُــوهَا مُقِلاًّ عَرشَهَا وَالـظُّلْـمُ يَعثُرُ عَثْرَةَ الـظَّلْمَاءِ(٢)
يَا أَيُّهـــــا اليَومُ الـعَظِيمُ تَحِيَّةً فُكَّ الأَسَارَى بَعــــدَ طُولِ عَنَاءِ
أَوَشكَتُ فيكَ وقَد نَسَيتُ شكيَّتى أَنْ أُوسِعِ الأَيَّامَ طِيــــبَ ثَنَاءِ
حَسْبِى اعـــتِذَارُكَ عَن مَسَاءَةِ مَامَضَى بِمَبَرَّةٍ مَوْفُورَةِ الآلاَءِ(٣)
أَلشَّمــسُ يَزدَادُ ائتَلافــاً نُورُهَا بَعــدَ اعتِكَارِ اللَّيـلَةِ اللَّيْلاَءِ(٤)

---

(١) الدجنة : الظلمة . ذكاء : من أسماء الشمس .

(٢) مقلا : حاملاً .

(٣) الآلاء ، جمع إلى : وهو النعمة .

(٤) اعتكار الليل : اشتداد ظلمته .

وَيُضَاعِفُ الســـرَّاءَ فِي إِقْبَالِهَا تَذْكَارُ مَا وَلَّى مِنَ الـــضَّرَّاءِ
لاَ كَانَتِ الحِجَجُ الَّتـــي كَابَدْتُهَا مِن بَدءِ تِلكَ الـغَارَةِ الشَّعْوَاءِ[1]
أَلحُزْنُ حَيثُ أَبِيتُ مِلءُ جَوَانِحِي وَالـنَّارُ مِلءُ جَوانِبِ الـغَبْرَاءِ[2]
دَامِي الْحُشَاشَةِ لَمْ أَخَلْنِي صَابِراً بَعْدَ الـــفِرَاقِ فَظَافِراً بِلِقَاءِ[3]
مُنْهَدُّ أَرْكَانِ الـــعَزِيمَةِ لَمْ أَكَدْ يَأْســـاً أُمَنِّي مُهْجَتِي بِشِفَاءِ
حِجَجٌ بَلَوْتُ المَوْتَ حِينَ بَلَوْتُهَا مُتَعَرِّضــاً لِي فِي صُنُوفِ شَقَاءِ
لَكِنَّهَا وَالْحَمْدُ لله انْقَضَتْ وَتَكَشَّفَتْ كَتَكَشُّفِ الـــغَمَّاءِ
وَغَدَا «الْخَلِيلُ» مُهَنَّئــاً وَمُهَنَّأً بَعْدَ الأَسَى وَتَعَذُّرِ الـــتَّأْسَاءِ[4]
جَذْلاَنَ كَالطِّفْلِ السَّعِيـدِ بِعِيـدِهِ مُسْتَرْسِلاً فـــي الـلَّفْظِ وَالإِيمَاءِ
يَقْضِي وَذَلِكَ نَذْرُهُ فِي يَوْمِهِ حَاجَاتِ سَائِلِهِ بِلاَ إِبْطَاءِ
مَا كَانَ أَجْوَدَهُ عَلَى بُشْرَائِهِ بِثَرَائِهِ لَوْ كَانَ رَبَّ ثَرَاءِ
عَادَ الْحَبِيـــبُ الْمُفْتَدَى مِنْ غُرْبَةٍ أَعْلَتْ مَكَانَتَهُ عَنِ الْجـــوْزَاءِ

(١) الحجج ، جمع حجة : وهى السنة .

(٢) الغبراء : الأرض .

(٣) الحشاشة : بقية الروح .

(٤) التأساء : التعزى .

إِنَّ الأَدِيبَ وَقَدْ سَمَا بِبَلائِهِ غَيْرُ الادِيبِ وَلَيْسَ رَبَّ بَلاَءِ(١)
فِي «بَرْشَلُونَةَ» نَازِحٌ عَنْ قَوْمِهِ وَدِيَارِهِ وَالأَهْلِ وَالْقُرَبَاءِ
نَاءٍ وَلَوْ أَغْنَتْ مِنَ الْمُقَلِ النُّهَى مَا كَانَ عَنْهُمْ لَحْظَةً بِالنَّائِي
بِالأَمْسِ فِيهِ العَيْنُ تَحسُدُ قَلْبَهَا وَالْيَوْمَ يَلْتَقِيَانِ فِي نَعْمَاءِ

❁

أَهلاً بِنَابِغَةِ الْبِلاَدِ وَمَرْحَباً بِالْعَبْقَرِيِّ الْفَاقِدِ النُّظَرَاءِ
«شَوقِي» أَمِيرِ بِيَانِهَا «شَوقِي» فَتَى فِتْيَانِهَا فِي الوَقْفَةِ النَّكْرَاءِ
«شوقي» وَهَل بَعدَ اسمِهِ شَرَفٌ إِذَا شَرُفَتْ رِجَالُ النُّبْلِ بِالأَسْمَاءِ
وَافَى وَمَنْ لِلْفَاتِحِينَ بِمِثْلِ مَا لاَقَى مِنَ الإِعْظَامِ وَالإِعْلاَءِ
«مِصْرٌ» تُحَيِّيهِ بِدَمْعٍ دَافِقٍ فَرَحاً وَأَحْدَاقٍ إِلَيْهِ ظِمَاءِ
«مِصْرٌ» تُحَيِّيهِ بِقَلْبٍ وَاحِدٍ مُوفٍ هَوَاهُ بِهِ عَلَى الأَهْوَاءِ
جَذْلَى بِعَوْدِ ذَكِيِّهَا وَسَرِيِّهَا جَذْلَى بِعَوْدِ كَمِيِّهَا الأَبَّاءِ(٢)
حَامِي حَقِيقَتِهَا وَمُعْلِي صَوتِهَا أَيَّامَ كَانَ الصَّوتُ لِلأَعْدَاءِ

---

(١) البلاء : الاختبار .

(٢) الكمى : الشجاع المسلح . الأباء : الشديد الامتناع والترفع عن الدنايا .

أُلْمُنْشِئ اللَّبِقِ الحَفِيـلِ نَظِيـــمُهُ   وَنَثِيـــــرُهُ بِرَوَائِعِ الأَبْـدَاءِ(١)

ألــــبَالِغِ الخَطَرَ الَّذِى لَم يَعْلُهُ   خَطَرٌ بِلاَ زَهْوٍ وَلاَ خُيَلاَءِ

أَلصَّادِقِ السَّمْحِ السَّرِيرَةِ حَيْثُ لاَ   تَعْدُو لِـلـــرِّيَاءَ مَظَاهِرُ السُّمَحَاءِ

أَلرَّاحِمِ المِسْكِينَ وَالمَلْهُوفَ وَالْمَـ   ـظْلُومَ حِينَ تَعَذُّرِ الـرُّحَمَـــاءْ

عِلْمــــاً بِأَنَّ الأَقْوِيَاءِ لِيَوْمِهِمْ   هُمْ فِى غَدَاةِ غَدٍ مِنَ الـضُّعَفَاءِ

أَلـطَّيِّبِ الـنَّفْسِ الـكَرِيمِ بِمَالِهِ   فِى ضِنَّةٍ مِنْ أَنْفُسِ الـكُرَمَاءِ(٢)

أَلْـكَاظِمِ الـغَيْظَ الْغَفُورَ تَفَضُّلاً   وَتَطَوُّلاً لِجَهَالَةِ الْجُهَلاَءِ(٣)

جِدِّ الْوَفِىِّ لِصَحْبِهِ وَلأَهْلِهِ   وَلِقَوْمِهِ إِنْ عَزَّ جِدٌّ وَفَاءِ

أَلْمُفْتَدِى الْوَطَنَ الْعَزِيـزَ بِرُوحِهِ   هَلْ يَرْتَقِى وَطَنٌ بِغَيْرِ فِدَاءِ ؟

مُتَصَدِّيـــــاً لِلْقُدْوَةِ الْمُثْلَى وَمَا   زَالَ الــسَّرَاةُ مَنَائِـرَ الـدَّهْنَاءِ(٤)

❁

هَذِى ضُرُوبٌ مِنْ فَضَائِلِهِ الَّتِى   رَفَعَتْهُ فَوْقَ مَنَازِلِ الأُمَرَاءِ

---

(١) الأبداء ، جمع بدئ : وهو البديع غير المسبوق إليه .

(٢) الضنة : البخل .

(٣) الجهالة : الحمق والجفاء والغلظة .

(٤) الدهناء : الصحراء .

جَمَعَتْ حَوَالَيْهِ القلوب وأَطْلَقَتْ بَعْدَ اعْتِقَالِ أَلْسُنَ الْفُصَحَاءِ
مَا كَانَ لِلإِطْـرَاءِ ذِكْرَى بَعْضَهَا وَهْيَ الَّتِـي تَسْمُو عَنِ الإِطْرَاءِ
قُلْتُ اليَسِيرَ مِنَ الـكَثِيرِ ولَم أَزِدْ شيئاً وكَمْ فِي النَّفسِ مِنْ أَشْيَاءِ
أَرْعى اتِّضَاعَ أَخِي فَأُوجِزُ وَالَّذِي يُرْضِي تواضعـه يَسُوءُ إِخَائِي

❁

إِنَّ الـبِلاَدَ «أَبـا عَلِيٍ» كَابَدتْ وَجْداً عَلَيـكَ حَرَارَةَ البُرَحَاءِ(١)
وَزَكَا إِلى مَحـبُوبِهَا تَحْنَانُهَا بِتَبَغُّضِ الأَحْدَاثِ وَالأَرْزَاءِ
لاَ بِدْعَ فِي إِبـدَائـهَا لَكَ حُبَّهَا بِنِهَايَةِ الإِبـدَاعِ فِي الإِبْدَاءِ
فَالْمُنـجِبَاتُ مِنَ الـدِّيَارِ بِطَبْعِهَا أَحْنَى عَلَى أَبْنَائِـهَا الـعُظَمَاءِ
أَلقُطْرُ مُهـتَزٌّ الجَوَانِبِ غِبْطَةً فِيـمَا دَنَا وَنَأَى مِنَ الأَرْجَاءِ
رَوِيَ الـعِطَاشُ إِلـى الـلِّقَاءِ وَأَصْبَحُوا بَعـدَ الْجَوَى فِي بَهْجَةٍ وصفَاءِ
وَبِجَانِبِ «الـفُسْطَاطِ» حَيٌّ مُوحِشٌ هُوَ مَوْطِنُ المَوْتَى مِنَ الأَحْيَاءِ
فِيـهِ فُؤَادٌ لَم يَقَرَّ عَلَى الرَّدَى لأَبَرَّ أَمْ عُوجِلَتْ بِـقَضَاءِ
لاَحَ الرَّجَاءُ لـهَا بِأَنْ تَلقَى ابـنَهَا وَقَضَتْ فجـاءَ اليَأْسُ حِينَ رَجَاءِ

(١) البرحاء : شدة الأذى .

أَوْدَى بِهَا فَرْطُ السَّعَادَةِ عِنْدَمَا ... شَامَتْ لِطَلْعَتِهِ بَشِيرَ ضِيَاءِ
لَكِنَّمَا عَوْدُ الْحَبِيبِ وَعِيدُهُ ... رَدَّا إِلَيْهَا الْحِسَّ مِنْ إِغْفَاءِ
فَفُؤَادُهَا يَقِظٌ لَهُ فَرَحٌ بِهِ ... وَبِفَرْقَدَيْهِ مِنْ أَبَرِّ سَمَاءِ(1)
يَرْعَى خُطَى حُفَدَائِهَا وَيُعِيذُهُمْ ... فِي كُلِّ نُقْلَةِ خُطْوَةٍ بِدُعَاءِ
فِي رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ قَرِّي وَاشْهَدِي ... تَمْجِيدَ «أَحْمَدَ» فَهْوَ خَيْرُ عَزَاءِ

❁

«مِصْرُ» «بِشَوْقِي» قَدْ أَقَرَّ مَكَانُهَا ... فِي الذُّرْوَةِ الأَدَبِيَّةِ الْعَصْمَاءِ
هُوَ أَوْحَدُ الشَّرْقَيْنِ مِنْ مُتَقَارِبٍ ... مُتَكَلِّمٍ بِالضَّادِ أَوْ مُتَنَائِي
مَا زَالَ خَلَّاقًا لِكُلِّ خَرِيدَةٍ ... تُصْبِي الْحَلِيمَ بِرَوْعَةٍ وَبَهَاءِ(2)
كَالْبَحْرِ يُهْدِي كُلَّ يَوْمٍ دُرَّةً ... أَزْهَى سَنًى مِنْ أُخْتِهَا الْحَسْنَاءِ
قُلْ لِلْمُشَبِّهِ إِنْ يُشَبِّهْ «أَحْمَدًا» ... يَوْمًا بِمَعْدُودٍ مِنَ الأُدَبَاءِ
مَنْ جَالَ مِنْ أَهْلِ الْيَرَاعِ مَجَالَهُ ... فِي كُلِّ مِضْمَارٍ مِنَ الإِنْشَاءِ ؟

---

(1) الفرقدان : نجمان ، والمراد بهما : ولدا «شوقي» .

(2) الخريدة : اللؤلؤة ، تشبه بها جياد القصائد . تصبى الحليم : تستهويه وتشوقه فيخف لها حلمه ووقاره .

مَنْ صَالَ فِى فَلَكِ الخَيَالِ مَصَالَهُ فَأَتَى بِكُلِّ سَبِيَّةٍ عَذْرَاءِ ؟

أَصَحِبْتَهُ وَالـنَّجْمُ نُصْبَ عُيُونِهِ وَالـشَّأْوُ أَوْجُ الـقُبَّةِ الـزَّرْقَاءِ ؟

إِذْ بَاتَ يَسْتَوحِى فَأَوْغَلَ صَاعِداً حَتَّى أَلَـمَّ بِمَصْدَرِ الإِيـحَاءِ

أَقَرَأْتَ فِى الـطَّيَرَانِ آيَاتٍ لَهُ يَجْدُرْنَ بِالـتَّرتِيـلِ وَالإِقْرَاءِ ؟

فَرَأَيْـتَ أَبْدَعَ مَا يُرى مِنْ مَنْظَرٍ عَالٍ وَلَمْ تَرْكَبْ مَطِيَّ هَوَاءِ

وَشَهِدتَ إِفْشاءَ الطَّبِيعَةِ سِرَّهَا لِلعَقْلِ بَعْـدَ الضَّنِّ بِالإِفْـشَاءِ

أَشَفَيْتَ قَلْـبَكَ مِن مَحَاسِنِ فَنِّهِ فِى شُكْـرِ مَا لِلـنِّيْـلِ مِنْ آلاَءِ ؟

يَا حُسْنَهُ شُكراً مِن ابن مُخلِصٍ لأَبٍ هُوَ المَفْدِىُّ بِالآبَـاءِ

أَغْلَى عَلَى مَاءِ اللَّآلِئِ صَافِيـاً مَا فَاضَ ثَمَّةَ مِنْ مَشُوبِ المَاءِ(١)

أَتَهَـادَت «الأَهْرَامُ» وَهْيَ طَرُوبَةٌ لِمَدِيحِهِ تَهْـتَزُّ كَالأَفْـيَاءِ ؟

فَعَذَرْتُ خِفَّتَهَا لِشِعْرٍ زَادَهَا بِجَمَالِه الـبَاقِى جَمَـالَ بَقَاءِ

أَنَظَرْتَ كَيْفَ حَبَا الْهَـيَاكِلَ وَالدُّمَى بِحُلًـى تُقَلِّدُهَا لِغَيْرِ فَنَاءِ ؟

فَكَأَنَّهَـا بُعِثَتْ بِهِ أَرْوَاحُهَا وَنَجَتْ بِقُوَّتِهِ مِنَ الإِقْوَاءِ(٢)

---

(١) أى جعل ما يفيض من ماء النيل أغلى من اللؤلؤ .

(٢) الإقواء : الإقفار وخلو المكان من السكان .

أَتَمَثَّلَتْ لَكَ «مصْرُ» فِي تَصْوِيرِهِ   بِضِفَافِهَا وَجِنَانِهَا الْفَيْحَاءِ ؟
وَبَدَا لِوَهْمِكَ مِنْ حُلِيٍّ نَبَاتِهَا   أَثَرٌ بِوَشْيِ بَيَانِهِ مُتَرَائِـــــى
أَسَمِعْتَ شَدْوَ الْبُلْبُلِ الصَّدَّاحِ فِي   أَيْكَاتِهَا وَمَنَاحَةَ الْوَرْقَاءِ ؟
فَعَجِبْتَ أَنَّى صَاغَ مِنْ تِلْكَ اللُّغَى   كَلِمَاتِ إِنْشَادٍ وَلَفْظَ غِنَاءِ
لله يَا «شَوْقِي» بَدَائِعُكَ الَّتِـــي   لَوْ عُدِّدَتْ أَرْبَتْ عَلَى الإِحْصَاءِ
مَنْ قَالَ قَبْلَكَ فِي رِثَاءِ نِفْسُهُ   يَجْرِي دَمــاً مَا قُلْتَ فِي «الْحَمْرَاءِ»؟(١)
فِي أَرْضِ «أَنْدُلُسٍ» وَفِي تَارِيخِهَا   وَغَرِيــبِ مَا تُوحِي إِلَى الـغُرَبَاءِ
جَارَيْتَ نَفْسَكَ مُبْدِعاً فِيــهَا وَفِي   آثَارِ «مِصْرَ» فَظَلْتَ أَوْصَفَ رَائِي
وَبَلَغْتَ شَأْوَ «الْبُحْتُرِيِّ» فَصَاحَةً   وَشَأَوْتَهُ مَعْنَـــــىً وَجَزْلَ أَدَاءِ
بَلْ كُنْتَ أَبْلَغَ إِذْ تُعَارِضُ وَصْفَهُ   وَتَفُوقُ بِالتَّمْثِــــيلِ وَالإِحْيَاءِ
يَا عِبْرَةَ الــدُّنْيَا كَفَانَا مَا مَضَى   مِنْ شَأْنِ «أَنْدُلُسٍ» مَدًى لِبُكَــاءِ
مَا كَانَ ذَنْبُ الْعُرْبِ؟ مَا فَعَــلُوا بِهَا؟   حَتَّى جَلَوْا عَنْهَا أَمَرَّ جَلاءِ
خَرَجُوا وَهُمْ خُرْسُ الْخُطَى، أَكْبَادُهُمْ   حَرَّى عَلَى «غَرْنَاطَةَ» الْغَنَّاءِ
أَلْفُلْكُ وَهْيَ الْعَرْشُ أَمْسِ لِمَجْدِهِمْ   حَمَلَتْ جَنَازَتَهُ عَلَى الــدَّأْمَاءِ(٢)

---

(١) نفسه : مداده . الحمراء : اسم حصن فى غرناطة بنى فيه قصر رائع .

(٢) الفلك : السفن . الدأماء : البحر .

أَوْجَزْتَ حِينَ بَلَغْتَ ذِكْرَى غِبِّهِمْ إِيــجَازَ لاَ عِيٍّ وَلاَ إِعْيَاءِ[1]
بَعْضُ السُّكُوتِ يَفُوقُ كُلَّ بَلاغَةٍ فِي أَنْفُسِ الْـفَهِمِينَ وَالأُرَبَاءِ[2]
وَمِنَ التَّنَاهِي فِي الْفَصَاحَةِ تَرْكُهَا وَالْوَقْتُ وَقْتُ الْخُطْبَةِ الْخَرْسَاءِ
قَدْ سُقْتَهَا لِلشَّرْقِ دَرْسـاً حَافِلاً بِمَوَاعِظِ الأَمْوَاتِ لِلأَحْيَاءِ
هَلْ تُصْلِحُ الأَقْوَامَ إِلاَّ مُثْلَةٌ فَدَحَتْ كَتِلْكَ الْمُثْلَةِ الشَّنْعَاءِ ؟[3]

❁

يَا بُلْبُلَ الْبَلَدِ الأَمِينِ وَمُؤْنِسَ الْـ ـلَيْلِ الْحَزِيـنِ بِمُطْرِبِ الأَصْدَاءِ
غَبَرَتْ وَقَائِعُ لَمْ تَـكُنْ مُسْتَنْشَداً فِيـهَا وَلاَ اسْمُكَ مَالِئُ الأَنْبَاءِ
لَكِنْ بِوَحْيِكَ فَاهَ كُلُّ مُفَوَّهٍ وَبِرَأْيِكَ اسْتَهْدَى أُولُو الآرَاءِ[4]
هِيَ أُمَّةٌ أَلْقَيْتَ فِي تَوْحِيـدِهَا أُسًّا فَقَامَ عَلَيْـهِ خَيْرُ بِنَاءِ
وَبَذَرْتَ فِي أَخْلاقِهَا وَخِلاَلِهَا أَزْكَى الْبُذُورِ فَـآذَنَتْ بِنَمَـاءِ
أَمَّا الرِّفَاقُ فَـمَا عَهِدْتَ وَلاَؤُهُمْ بَلْ زَادَهُمْ مَا سَادَ حُسْـنَ وَلاَءِ

---

(١) الغب : عاقبة الشئ .

(٢) الأرباء ، جمع أريب : وهو العاقل المتبصر .

(٣) المثلة : العقوبة والتنكيل .

(٤) المفوه : البليغ الكلام .

وَشَبَابُ «مِصـــرَ» يَرَوْنَ منـكَ لَهُمْ أَباً وَيُرُوْنَ منـــكَ بِمَنزِلِ الأَبـــنَاءِ
مِن قَولِكَ الحُرِّ الجَرِئ تَعَلَّمُوا نَبَرَاتِ تِلـــكَ الـــعِزَّةِ الـــقَعْسَاءِ
لاَ فَضلَ إلاَّ فَضلُهُم فِيـمَا انتَهَى أمـــرُ البِلاَدِ إلَيـــهِ بَعـــدَ عَنَاءِ
كَانُوا هُمُو الأَشيَاخَ وَالفِتْيانَ وَالـ ـــقُوَّادَ وَالأجـــنَادَ فِى الـبَأسَاءِ
لَم يَثْنِهِم يَومَ الـذِّيَادِ عَنِ الحِمَى ضَنٌّ بـــــــأَمْوالِ وَلاَ بِدِمَاءِ
أَبـــطَالُ تَفْدِيَةٍ لَقُوا جُهْدَ الأَذَى فِى الحَقِّ وَامـــتَنَعُوا مِنَ الإِيذَاءِ
سَلِمَتْ مَشِيئَتُهم وَمَافِيهِمْ سِوَى مُتَقَطِّعِى الأَوصَالِ وَالأَعـــضَاءِ
إنَّ العَقِيـــــدَةَ شِيـــمَةٌ عُلْوِيَّةٌ تَصـفُو عَلَى الأَكْدَارِ وَالأَقْذَاءِ(١)
تَجْنِى مَفَاخِرَ مِن إهَانَاتِ العِدَى وَتُصِيبُ إعـــزازاً مِنَ الإِزرَاءِ(٢)
بِكْرٌ بِـأَوجِ الحُسْنِ أَغـلَى مَهْرَهَا شَرَفٌ فَلَيـــــسَ غَلاَؤُهُ بِغَلاَءِ
أَيُضَنُّ عَنهَـــا بِالنَّفِيسِ وَدُونَهَـــا يَهَبُ الحُمـاةُ نُفُوسَهَمْ بِسَخَاءِ ؟

❁

تِلـكَ القَوَافِى الـشَّارِدَاتُ وَهَذِهِ آثَارُهَا فِى أَنــــفُسِ الـــقُرَّاءِ

---

(١) الأقذاء : الشوائب .

(٢) الإزراء : العيب والتنقص .

«شَوقِى» إِخَالُكَ لَم تَقُلْهَا لاَهِياً   بِالنَّظْمِ أَو مُتَبَاهِياً بِذَكَاءِ

حُبُّ الحِمَى أَمْلَى عَلَيكَ ضُرُوبَهَا   مُتَأَنِّقاً مَا شَاءَ فِى الإِمْلاءِ

أَعظِمْ بِآيَاتِ الهَوَى إِذْ يَرتَقى   مُتَجَرِّداً كَالجَوهَرِ الوَضَّاءِ

فَيُطَهِّرُ الوِجْدَانَ مِن أَدرَانِهِ   وَيَزِينُهُ بِسَوَاطِعِ الأَضْوَاءِ

وَيُعِيدُ وَجْهَ الغَيْبِ غَيْرَ مُحَجَّبٍ   وَيَرُدُّ خَافِيَةَ بِغَيْرِ خَفَاءِ

أَرسَلتَهَا كَلِماً بَعِيدَاتِ المَدَى   تَرْمِى مَرَامِيَهَا بِلاَ إِخْطَاءِ

بَينَا بَدَتْ وَهْىَ الرُّجُومُ إِذِ اغتَدَتْ   وَهْىَ النُّجُومُ خَوَالِدَ الَّلأْلاَءِ

مَلأَتْ قُلُوبَ الهَائِبِينَ شَجَاعَةً   وَهَدَتْ بِصَائِرَ خَابِطِى العَشْوَاءِ

❁

مِنْ ذلكَ الرُّوحِ الكَبِيرِ ومَا بِهِ   يَزدَانُ نَظْمُكَ مِن سَنًى وَسَنَاءِ

أَعْدِدْ لِقَومِكَ وَالزَّمَانُ مُهَادِنٌ   مَا يَرتَقُونَ بِهِ ذرَى العَلْيَاءِ

أَلْيَومَ يَوْمُكَ إِنَّ «مِصرَ» تَقَدَّمَتْ   لِمَآلِهَا بِكَرَامَةٍ وَإِبَاءِ

٣٤ حكاية وردة

كتبها الشاعر فى طرس جعله كفناً لوردة ذبلت عنده ، وهى هدية من آنسة .. ووضع تلك البقية من الوردة فى وعاء من أوعية الزينة البيتية ، مورق ، مزهر ، هو أشبه بالمهد منه باللحد .

هَـذِى حِكَايَـةُ وَرْدَةٍ تَحْلَى بِسِيرَتِهَا السِّيَرْ
شَغَلَتْ مكَاناً مِنْ حَيَاتِى لَمْ يَزَكْ عَبِقِ الأَثَرْ

❁

فِى ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِى هُوَ أَمْسُ لاَ عَهْدٌ عَهِيدْ
لَكِنْ أَشَرْتُ بِبُعْدِهِ إِذْ كُلُّ مُنْصَرِمٍ بَعِيدْ
ظَفِرَتْ يَدَاىَ بِهَا وَكَا نَتْ تُحْفَةً بَيْنَ الزَّهَرْ
مِنْ فَاخِرِ الْوَرْدِ الَّذِى يَسْبِى بِرَوعَتِهِ الْفِكَرْ

مَمْشُوقَـــــةٌ أَوْرَاقُهَـــــا   مَضْمُومَةٌ ضَـــمَّ الـــشَّفَهْ
تَشْـــفِى بِبَهْجَتِهَـــا أُوَا   مَ الْمُقْلَــــــةِ الْمُتَرَشِّفَهْ(١)
عَـــذْرَاءُ جَـــادَتْ لِى بِهَـــا   عَـــذْرَاءُ مِنْ أَخَوَاتِهَـــا
حَكَتِ الـــــلَّدَاتِ بِجِنْسِهَا   وَتَفَـــرَّدَتْ فِـــى ذَاتِهَـــا
فَحَفِظْتُهَا حِفْـــظَ الْحَـــرِ   يـــــــصِ عِنَايَةً وَتَعَهُّدَا
وَمَنَحْتُهَا حَـــظَّ الْخَصِـــــ   ـــيــصِ رِعَايَـــةً وَتَوَدُّدَا
أَحْلَلْتُهَـــــا مُسْتَبْشِراً   خَيْرَ الْمَوَاضِـــعِ فِـــى الْحِمَى
وَظَلَلْتُ أَيَّامًا أُجَـــــا   وِرُ نَفْحَـــةً وَتَبَسُّمَـــا
حَتَّـــى إِذَا مَـــا آذَنَ الْـ   ـــقَدَرُ الْمُتَـــاحُ بِبُعْدِهَـــا
زَادَ الـــشَّجَى فِـــى الـــنَّفْـ   ـسِ رُزْئِـــــى مَرَّتَيْنِ بِفَقْدِهَا
فِى الْبَـــدْءِ مَـاتَ بِهَـا الْجَمَـا   لُ وَعُمْرُهُ أَبَداً قَصِيـــــرْ
لَكِـــنْ أَقَـــامَ عَبِـــــيرُهَا   فَجَعَلْـــتُ سَلْوَاىَ الْعَبِيـــرْ

❁

(١) الأوام : العطش .

هَذِى عَرُووسُ الْوَرْدِ أَمْسَـ ـــــت بَزْرَةً أَوْ شِبْهَ ذَاكْ

جِسْمٌ أَلَمَّ بِهِ الــــرَّدَى فَأَجَفَّهُ وَالــــرُّوحُ ذَاكْ[1]

صُيِّرَتْ حَبِـيــبِى مِنْ شَمَـا لِ الـــصَّدْرِ مَوْطِنَهَا الأَمِـــينْ

وَلَبِثْتُ آنَـــا بَعْـــدَ آ نِ أُنْشِقُ الْعِــطْرَ الــكَمِينْ

طِيــبٌ أُحِسُّ بِشَمِّهِ مَا ظَلَّ فِـيـهَا مِنْ رَمَقْ

وَعَلَى تَوَالِــى نَقْصِـه مِنْهَا يَزِيــدُ بِىَ الــفَرَقْ[2]

أَخْشَى وَأَحْزَنُ كُلَّمَا مَرَّتْ سُوَيْــعَاتُ الــوِصَالْ

وَأَوَدُّ لَــوْ بِجِوَارِهَـــا لِلْقَلْبِ مُدَّتُهَـــا تُطَـــالْ

لَكِنْ مَتَــى حُــمَّ الْقَضَـــا ءُ فَلَيْسَ يَدْفَعُهُ الْحَذَرْ[3]

مَـــاذَا يَرُدُّ عَلَيْـــكَ فَـــرْ طُ الْحِـــرْصِ وَالْجَارِى قَدَرْ

أَصْبَحْتُ يَوْمًـــا وَهْــىَ قَدْ جَــادَتْ بِفَـــضْلَةِ عِطْرِهَا

وَبَـــدَا عَلَــيْهَا أَنَّهَـــا فَاضَتْ بَقِــــيَّةُ عُمْرِهَـــا

---

(١) ذاك : فائح العطر .

(٢) الفرق : الخوف .

(٣) حم : نزل .

فَاسْتَوحَشَتْ نَفْسِــى وَكُنْــ ـــتُ بِجَارَتِى مُسْتَـــأْنِسَا

وَأَسَـــيــتُ أَقْصَـــى مَا تُجِـــزُ طَبَائِـــعُ الــزَّهْـــرِ الأَسَـــى

لاَ تَقْبَلُ الأَزْهَارُ أَنْ تُبْكَى وَغَايَـــتُهَا الـــفِدَى

هِيَ لِلْبَشَائِـــرِ فِى الْحَيَا ةَ وَلِلْمَرَاحِمِ فِـــى الـــرَّدَى

لَكِنْ ضَنَنْتُ بِوَرْدَتِـــى عَنْ أَنْ تُرَدَّ إِلَـــى الـــثَّرَى

آثَرْتُهَا لِـــى دُونَـــهُ وَحَـــرِىٌّ بِهَا أَنْ تُؤْثَـــرَا

تِلْكَ الَّتِـــى بِحَيَاتِهَـــا مَـــلأَتْ عُيُـــونَ الْمُعْجَبِينْ

عَادَتْ عَقِيـــبَ مَمَاتِهَا هَنَّةً لَـــهَا شَبَهُ الْجَنِـــينْ

شَبَهٌ صَنَعْتُ بِوَحْيِـــهِ لَحْداً حَكَـــى الْمَهْدَ الْجَمِيــلْ

مَا الْمَهْدُ إِلاَّ الـــلَّحْدُ فِـــى جِدَّيْنِ بَيْنَهُمَا سَبِيـــلْ

شَاكَلْتُ بَيْنَهُمَـــا وَمَـــا قَصْدِى مُـــشَـــاكَلَةَ الصِّفَهْ

لَكِنْ يُعَانُ الْقَلْـــبُ أَحْيَا نـــاً بِبَعْـــضِ الْفَلْسَفَهْ

أَلْمَـــهْدُ رَمْزُ الْعَـــوْدِ أَوْ رَمْزُ الْوُجُـــودِ مُجَـــدَّدَا

وَالْعَوْدُ فِـــى الأَحْيَـــاءِ لَيْـ ـسَ يَكُـــونُ إِلاَّ مَوْلِـــدَا

فَلِلمَعْنَيَيْنِ كِلاَهُمَا فِيــــــه رَجَاءٌ أَوْ عَزَاءْ
هَيَّأْتُ ذَاكَ المَهْدَ مَوْ فُورَ المَحَاسِنِ مَا أَشَاءْ
أَرْجُو بِهِ التَّبْشِيـــــرَ إِنْ كَانَ الــــتَّجَدُّدُ يُؤْمَلُ
أَو أَبْتَغِـــى الـــتَّذْكِـــرَ وَالـــذِّكْـــرَى نُشُـــورٌ أَوَّلُ

❁

أَلــــنَّفْـــسُ أُمٌّ كَالـــطَّبِيـــ ـــعَةِ لَيْـــسَ تَفتَأُ تَخْلُـــقُ[1]
وَتُعِيــــــدُ فِى رَسْمٍ جَدِ يـــــدٍ كُلَّ شَىْءٍ يُخْلَقُ
فَبِالابْتِكَـــارِ تَصُـــوغُ مَا يَهْـــدِى إِلَيْـــهِ وَحْيُـــا
وَبِـالادِّكَـارِ تَـرُدُّ أَشْبَـــــاحـــــاً شَـجَاهَـا نَأْيُهَـا
مَا أَعْجَـــبَ الـــذِّكْرَى وَأَشْـــفَاهَـــا لِتَبْرِيـــحِ الْجَـــوَى
نُورٌ بِهِ تَجْلُـــو الـــنُّهَى مَا حَجَّبَتْ عَنْهَـــا الـــنَّوَى
وَلِوَرْدَتِى مَـــا دُمْـــتُ حَيّـــا بَعْثَـــةٌ فِـــى خَاطِـــرِى
وَبِـــهِ يُقَبِّلُهَـــا فَمِـــى وَبِـــهِ يَرَاهَـــا نَاظِـــرِى

---

(١) تخلق : تجدد خلقا .

فَــــإذَا جَــرَى أنِّـــى نَسِيــتُ وَرُبَّمَـــا نَسِــىَ الفَطِـــنْ
فَالَمهْـــدُ يَمْنَـــحُ يَقْظَـــةً طَـرْفَ الضَّمِيـــرِ إذَا وَسِنْ(١)
مَهْدٌ بِشَكْلِ خَمِيــــــلَةٍ غَنَّاء حَانِيَةِ الــــــغُصُونْ
أَنْزَلْتُهَـــا مِـــنْ قَلْبِـــهِ فِى مَنْزِلِ الـــــسِّرِّ المَصُونْ
فِى كُلِّ يَــوْمٍ حَــوْلَ ذَا كَ الَمهْـــدِ أَسْـــرَابُ الُمنَى
وَطَوائِفُ الـفِكَرِ الســـواًّ نِحِ فِـــى تَلاَمِيـــعِ الــسَّنَى
مَا بَيْــنَ مُمْسِيـــــةٍ تُرَفْـ ـــرِفُ حَــوْلَهُ أَوْ مُصْبِحَهْ
شِـبْهَ الْفَرَاشِ تَخـــالـهَا زَهَراً يَطِيـــــرُ بِأَجْنِحَــهْ
يَعْـــــقِدْنَ رُؤْيَـا لِلَّتِى مَاتَتْ فَتُحْسَـــبُ حَالِمَـــهْ
وَعَلَـــى رَقِـــيقِ الـشَّدْوِ يُو قِظْــنَ العَرُوسَ الـنَّائِمـــــهْ
فَتَعُــودُ تِلْــكَ الْـوَرَدَةُ الــ ـــزَّهْرَاءُ زَاهِيَــةَ الْـــوَرَقْ
مِــلْءَ الضَّمِيــــرِ بِحُسْـنِهَا وَكَأَنَّهَـــا مِــلْءُ الْحَـــدَقْ
لاَ تَبْعَـــدِى أَىْ وَرْدَتِـــى مَا غَـــابَ إلاَّ مَــنْ سَــلاَ

(١) وسن اغفى .

لله مَـــا أَحْلَـــى الْفُـــؤَا   دَ إِذَا مِنَ الـــذِّكْرَى خَـــلاَ

مَا مَـــاتَ مَـــنْ لِمُحِبِّـــهِ   قَلْبٌ وَفِـــــــــــى يُنْشِرُهْ

أَلْقَلْبُ يَطْـوِى الْغَيْـبَ فِـى   أَثَرِ الْحَبِيـــبِ فَيُحْضِـــرُهْ

تَاللهِ إِنَّكِ مَـــا مَكَثْـــتِ عَنِ الْحَيَـــاةِ مُغَيَّبَـــهْ

لَنَضِيـــــرَةٌ فِي مُقْلَـ   ـتَىَّ وَفِـى فُـــؤَادِى طَيِّبَـــهْ

يَارَبَّةَ الـــشِّيَمِ الـــنَّبِيـ   ـلَةِ هَكَـذَا نُبْلُ الـــعَطَاءْ

كُـــلُّ الأَزَاهِـــرِ لِلَّتِـــى   هِـىَ مِنْـكِ فَلْتَكُـنِ الـفِدَاءْ

فَـازَتْ بِبَعْـضِ الْقُـرْبِ مِنْـ   ـكِ وَذَاكَ عِزٌّ لاَ يُـــرَامْ

فَلِـذَاكَ أَمْسَـتْ فِـى الْوُرُو   دِ وَقَدْ أُقِـيمَ لَهَـــا مَقَامْ

أَدَّتْ أَمَـانَتَهَـــــا أَدَا   ءَ الْحَـقِّ فِـى دَارِ الـشَّقَاءْ

وَإِلَيْـكِ أَهْـدَتْ عُمْرَهَـــا   بِمَمَاتِهَـــا فَلَكِ الـبَقَـاءْ

٣٥ النــوارة

أو

زهرة المرغريت

ألف الأغرار من العشــاق أن ينثروا أوراق هذه الزهرة واحدة بمعنى «نعم» والتالية بمعنى «لا» بقصد أن يتـبينوا فى نهاية العدد أتحبهم التى يعشقونها أم لا تحبهم. . فقال الشاعر فى ذلك وقد كبر سنًا:

أُراجِعُ نَفسى هَل أَنا ذَلِكَ الذِى عَهِدْتُ بِأَمسِى أَم أَنا رَجُلٌ ثَانِ ؟
عَلِمتُ صُنُوفَ الـعِلْمِ دَرسـاً وَخِبْرَةً فَمَالِى بَلَغْتُ الجَهـلَ فِى مُنْتَهَى شَانِى ؟
أَرَانِى بَعدَ الشَّيْبِ عَاوَدَنِى الهَوَى فَرَدَّ صِبَى الدُّنـيَا عَلَّى وَأَصْبَانِى
غَدَوْتُ كَأَنِّى مَا عَرَفتُ حَقِيــقَةً وَهَل أَنا إِنْ يَدْعُ الهَوَى غَيْرُ إِنسَانِ؟
فَيَالِىَ مِن كَهْلٍ يُرَى وَهْوَ جَاثِمٌ كَطِفـــلٍ عَلَى شَـــئٍ يُقَلِّبُهُ حَانِ
بِكَفِّى مِنَ النُّوَّارِ ذَاتُ أَشِعَّــــةٍ لهَا قُرْصُ شَمسٍ زَانَهُ تاجُ أَلوانِ

فَبَيَنَا أُجِيلُ الطَّرْفَ فِى قَسِمَاتِهَا   وَثَمَّ فُنُونٌ مِن جَمَالٍ وَإتــقَانِ
إذَا أَنــا لِلــتَّاجِ المُنَظَّمِ نَاثِرٌ   تِبَاعًا وَلِى فِى ذَاكَ تَرْدِيدُ صِبْيَانِ
أُسَائِلُ أَوراقاً -وَيالَيتَ شِعْرَهَا-   أَتَهَوانِىَ الحَسنَاءُ أم لَيسَ تَهْوانِى؟

٣٦ فى الغــابة

صورة خياليــة يتنقل فى غابة مرتفعة باحثاً عن زهرة غــير موجودة

مَا بَالُهُ مَـــا أَصابَـــهْ ؟ مَا سُـــؤْلُهُ فِـى الـغَابَهْ ؟
هَبَّ الـــغَدَاةَ وَوَالَــــى إِلـى الـزَّوَالِ اضْطِرابَــهْ
تَهْفُـــو الـــغُصُونُ إِلَيْهِ أَوْ تَنْثَنِـــى تَوَّابَـــــهْ
أَنَّا يَــــــبِينُ وَأَنَّا يَخْفَـــى وَرَاءَ غَيَابَــــهْ
أَنَّى تَنَقَّـــلَ يَمْشِـــى فِـــى زِينَةٍ وَغَرَابَــــهْ
مُوَشَّحـــــاً بِشُعَاعٍ أَوْ مُسْـــتَقِلاً سَـــحَابَهْ
أَوْ خَائِضــــاً بَحْرَ فَئٍ يَشُـــقُّ شَـــقًّا عُبَابَـــهْ
تَفِـــــرُّ بَيْنَ يَدَيْـــهِ أَهِـــلَّةٌ لَعَّابَــــــهْ

أَوْ عَابِراً بِخُطَــــاهُ مَجَــرَّةً مُنْسَــابَهْ[1]

مِــنَ الْوُرَيْقَاتِ تَجْـرِى بِهَـا الـصَّبَا الْوَثَّابَهْ

حَتَّى إذَا الـشَّمْسُ مَالَتْ بَيْنَ الأَسَى وَالـدُّعَابَهْ

تُلْقِى وَدَاعـاً بَهِيـجـاً وَالـظِّلُّ يُلْقِى كَـآبَهْ

أَجْـرَتْ عَلَـى مَنْكِبَيْهِ حُلَى نُضَـارٍ مُذَابَـهْ

فَلاَحَ كَالـطَّيْفِ لَوْلاَ هَزُّ الـنَّسِيـمِ ثِـيَابَهْ

مَـاذَا تَوَخَّيْتَ يـا مَـنْ أَضْوَى الـعَنَاءُ إهَـابَـهُ؟

مِـنْ كُـلِّ ذَاتِ غِرَاسٍ وَكُـلِّ ذَاتِ عَشَابَهْ[2]

فَكَـانَ مَا رُمْتَ سُؤْلاً عَـزَّتْ إلَيْـهِ الإجَـابَهْ

أَرَدْتُ فِى الـزَّهْرِ بِكْـراً فَتَّانَـةً خَـلاَّبَهْ

عَـنْ كُـلِّ بِنْتِ رَبِيعٍ بِحُسْـنِهَا تَتَنَابَـهْ

بَرَّاقَـةٍ عَـنْ ذَكَـاءٍ ضَحَّاكَـةٍ عَنْ نَجَابَهْ

فَوَّاحَـةٍ عَـنْ خِـلاَلٍ ذَكِيَّـةٍ مُسْـتَطَابَهْ

---

(١) المجرة : منطقة فى السماء كثيرة النجوم ترى كأنها بقعة بيضاء .

(٢) عشابة ، مصدر عشب المكان : نبت عشبه .

نَقِيَّــةٍ لَــمْ تُطَالَــعْ　　　بِــأَعْيُنٍ مُرْتَابَــهْ
لِلْمُجْتَلِي هِــيَ رَوْضٌ　　　وَلِلْــشَّجِيِّ صَحَــابَهْ
أُنِيــبُهَا فِي وَفَاءٍ　　　عَنِّي أَعَــزَّ إِنَابَــهْ
لَدَى أَمِيــرَةِ فَضْــلٍ　　　مَصُــونَةٍ وَهَّابَــهْ
بِهَا جَمَــالٌ وَنُبْلٌ　　　إِلَــى عُلًــى وَمَهَــابَهْ
مَقَامُهَــا لاَ يُسَــامَى　　　كَرَامَــةً وَحَسَــابَهْ
أَسْدَتْ إِلَيَّ جَمِيــلاً　　　وَمَــا قَضَيْــتُ نِصَابَــهُ
فَظَلْتُ فِي الــزَّهْرِ أَبْغِــي　　　تِلْكَ الَّتِــي لاَ تُشَابَــهْ
حَتَّــى إِذَا طَــالَ كَــدِّي　　　وَلَــمْ أَفُزْ بِالــطِّلاَبَــهْ
نَظَمْتُهَــا مِــنْ خَيَــالٍ　　　وَصُفْتُهَــا بِالْكِتَــابَهْ
عَلَّ الْهَدِيَّــةَ رَسْمــاً　　　تُثِــيبُ بَعْــضَ الإِثَابَــهْ

٣٧ الفـــداء

أنشدت فى حفل أقيم لتحية أرواح الشهداء المصريين فى الحركة الوطنية ولتحية الذين أفرج عنهم من السجون بعد العناء الطويل

إلى أرواح الشهداء

تَحِيَّةٍ أَيهَا القَتْلَى وتَسْلِيمَا ... بَلَغتُمُ الشَّأْوَ تَخلِيداً وتَعظِيمَا
لاَ يَعبُدُ المَرءُ ربًّا لاَ ولاَ وَطَناً ... بِمِثلِ إغلاَئِه القُربَانَ تَقدِيمَا
قُلتُمْ وَصَدَّقَ مَا قُلتُمْ تَحَمُّلُكُمْ ... أذى يَرُدُّ فِرنْدَ الصَّبرِ مَثْلُومَا[1]
مَا المَوتُ إن كَانَ إنقَاذُ البِلاَدِ بِهِ ... مِن غَاصِبٍ وَانتِصَافُ الشَّعبِ مَظلُومَا
يُحَطِّمُ العَظْمَ مِنكُم دُونَ بُغيَتِكُمْ ... فَتَصبِرُونَ وَيَأبَى العَزمُ تَحطِيمَا
برًّا «بِمِصرَ» وَخَوفاً أن يُسَلِّمَهَا ... إلَى العِدَى وَاهِنُو الإيمَانِ تَسلِيمَا

(١) الفرند : حد السيف .

لَيسَ الشَّهَادَةُ إلا مَنْ يمُوتُ عَلَى حَقٍ وَمَن لايبالِى فِيهِ مَا سِيما(١)

إِمْضُوا رِفَاقاً كِرَاماً حَسْبُكُمْ عِوَضاً مَجدٌ عَزِيز عَلَى الخطابِ إن رِيمَا(٢)

للمُشْتَرِى بِصِبَاهُ عِزَّ أُمَّتِهِ ذِكرٌ يَدِيمُ اسمَهُ بِالتِّبْرِ مَرقُومَا

وَلِلَّتِى استَبدَلَتْ بِالقَبرِ مَرتَعَهَا قِسطٌ مِنَ الفَخرِ فَوقَ العُمرِ تَقوِيمَا

لاَ تَحسَبُوا مِصرَ تَنسَاكُمْ فَكُلُّكُمُوا يَبقَى عَلَى الدَّهرِ مَرؤُومًا وَمَرحُومَا(٣)

وَفِى المَرَابِعِ مِن أَروَاحِكُمْ نَسَمٌ تَظَلُّ تَأْتِى بِهَا الأَروَاحُ تَنسِيمَا(٤)

تحية للذين أطلقوا من الاعتقال

يَا خَارِجِينَ كِرَاماً مِن مَحَابِسِهِم وَمُبْهِجِى كُلِّ قَلبٍ كَانَ مَغمُومَا

كَم كَبَّلَ الحَقُّ بِالأَصفَادِ مِن قِدَمٍ ثُمَّ انطَوَيْنَ وَبَاءَ البُطْلُ مَهزُومَا

يَاسُوءَ دَهرٍ قَضَتْهُ قَبلَ نَهضَتِهَا «مِصرٌ» يُخَيِّمُ فِيهَا الذُّلُّ تَخيِيمَا

تَهِى قُوَى اللَّيْثِ مِن عَيْثِ الذِّئَابِ بِهَا وَيَلتَوِى الأَمرُ تَحلِيلاً وَتَحرِيمَا

---

(١) سيم : كُلِّفَ .

(٢) ريم : طُلِبَ .

(٣) مرؤوم : معطوف عليه .

(٤) المرابع : المنازل . نسم : جمع نسمة ، وهى هنا : الريح اللينة الخفيفة

فَالـــــيَومَ عَادَ إلَى رَأْيٍ يُشَرِّفُهَا مَنْ ظَنَّ إقلِيـمَهَا للخَفْضِ إقـلِيـمَا[١]

دَلَّتْ عَلَى قُوَّةٍ فِيـــهَا صَلاَبَتُكُمْ تَذُودُ عَنْهَا الأَشِدَّاءَ المَقَاحِيـمَا[٢]

هَل يُجزِئُ الـــشُّكْرُ مِن ضَيْمٍ تَحَمَّلَهُ بالأَمسِ مَن منكُمُو فى رأْيِهِ ضَيـمَا[٣]

قَد أَثَّمُوكُمَ وكَمْ مِن مُثْلَةٍ نَزَلَتْ بِالأَبرِيَاءِ وَبِالأَبْرَارِ تَأْثِيـــمَا[٤]

وَبَعَضُ مَاعَاقَبُوكُمْ فِيهِ جَعْلُكُمُو صِدقَ الهَوَى لِلْحِمَى دِيـناً وَتَعلِيـــمَا

لاَحَاكِمـــاً دُونَ مَا أَوحَتْ ضَمَائِرُكُمْ تُراقِبُونَ وَلاَ تَرْعَوْنَ مَحـــكُومَا

❁

لَقَد ظَفِرتُم بمَا أَدنَى القَصِيَّ لَكُم مِنَ المَرَامِ فَلَيـسَ الـفَوْزُ مَزْعُومَا

هَلِ اسْتَقَامَ زَمَانٌ لاَ يُقَوِّمُهُ بَنُوهُ بِالصَّبْـرِ وَالإِقدَامِ تَقـوِيمَا ؟

أَو نَالَ حُرِّيَّةً قَومٌ بِـــهَا جَدُرُوا وَهُمْ يُبَالُونَ تَقتِيلاً وَتَكْلِيماً ؟[٥]

❁

---

(١) الخفض (هنا) : مصدر خفضه : أنزله وحطه وهوى به .

(٢) المقاحيم ، جمع مقحام : وهو الشجاع يقتحم ولا يهاب .

(٣) ضيم : أنزل به الظلم .

(٤) أثموكم : وجدوكم على إثم . المثلة : التعذيب والتنكيل .

(٥) تكليما : تجريحا .

يَا سَادَةً خَاسـنُّجُومِ اسـغُرِّ مَنزِسَةً   وَسَيِّدَاتٍ خَعِقْدِ اسـدُّرِّ مَنـظُومَا

حَمْداً لإقْبَاسِكُمْ هَذَا وَحَفْلَتِكُمْ   تُهَنِّئُونَ اسـصَّنَادِيـدَ المَقَادِيمَا[1]

مِنَ الأُولَى مَاوَنَوْا عَن وَاجِبٍ فَبَنَوْا   لِعِزِّ «مِصـرَ» طِرافـاً كَانَ مَهـدُومَا[2]

أَوسَئِكُمْ إِنْ بَدَا مِن فَضـلِهِمْ أَثَرٌ   فَكَم سَهُم مِن جَمِيلٍ ظَلَّ مكتُومَا

فَلْتَحْى «مِصـرُ» وَأَبرَارٌ نُجِلُّهُمُو   وَنَحتَفِى بِهِمُ حُبًّا وَتَكـرِيمَا

(١) اسصناديد : اسشجعان . المقاديم : جمع مقدام أى الجرئ .

(٢) اسطراف : اسبيت .

٣٨ غصـــن

من زهر المشمش

قدمه الشاعر لوالدته وهى مريضة

جَاءَتْــكِ يَــا أُمَيْمَتِـــى بُشْرَى الـــشِّفَاءِ فَانْظُرِى
مَاذا تَقُوســـينَ بِــهـــــذَا الغُصْـــنِ المُنَــوِّرِ ؟
أَلمَاسِئَ الـــتَّنَفُّس بِرَيَّاهُ الـــتَّنَخِّى الـــعَطِرِ
أَســذَّاهِبِ الأَفْرُعِ خُـــــلَّ مَذْهَبٍ مُحَيِّرِ
فِى خُلِّ فَرْعٍ زِيـــنَةٌ مِنْ نَاصِعَاتِ الـــزَّهَرِ
يَمْـــلأُ خُـــلَّ جَانِـــبِ مِنْهُ ضَحُوكُ الـــشَّرَرِ
وَفِـــيـــهِ مَا يَبْهَرُ مِنْ قَطْرِ الـــنَّدَى المُسْتَعِرِ

كـــــــأَنَّهُ قَدْ عَلقَتْ بِهِ . صِغَارُ الـــزُّهُرِ[1]
هُوَ الـــرَّبِيـــعُ عَائِداً بِحُسْـــنِهِ المُزْدَهِـــرِ
أَجْمَلُ مَا يُرَى كَبِـــــيـــرُ الْحُسْنِ فِى مُصَغَّرِ
وَفَــوْقَ مَـــا يَبْلُغُـــهُ تَصَـــوُّرُ الْمُصَـــوِّرِ
يَنْقَـــعُ غُلَّةَ الـــنُّفُوسِ بِالـرَّفِيـفِ الْخَصِرِ[2]
قَدْ مَلا الْغُرْفَـــةَ بَهــــجَةً وَحُسـنَ مَنْظَـــرِ
وَقَدْ نَفَـى بِصَفْـوِهِ الـلَّـــمَّاحِ كُـــلَّ كَـــدَرِ
فَاسْتَقْبِلِى الـــصِّحَةَ فِي لِقَـــائِـــهِ وَاسْتَبْشِرِى

(١) الزهر : النجوم .

(٢) الرفيف : حركة الماء . الخصر : البارد .

٣٩ بنفسجة فى عروة

ألف الشاعر فى ذلك العام أن يضع زهرة بنفسج فى العروة التى تعلو الجيب الأيسر من ردائه . وسر ذلك أنه كان يحب سيدة تحب البنفسج ولا يبوح لها بأمره إلا على هذه الصورة

جَعَلْتُ فِى عُرْوَتِى بَنَفْسَجَةً ... تَزِينُ صَدرِى وَنِعْمَتِ الزِّينَهْ
هَلْ فِى ذَوَاتِ الجمَالِ أَكْمَلُ مِنْ ... مَلِيكَةٍ فِى اتِّضَاعِ مِسْكِينَهْ ؟
شِنْشِنَةٌ قَد تَخِذْتُهَا لِىَ فِى ... عَامِى وَقَصْدِى عَنِ العَذُولِ خَفِى[1]
أَشْبَهُ شَىْءٍ بِطَبْعِ مَالِكَتِى ... أَضحى شِعَاراً لِعَبْدِهَا الدَّنِف
فَيَالَهَا عُرْوَةً وَقَد جُلِيَتْ ... كَالعَيْنِ فَوقَ الفُؤَادِ تَسْتَعْلِى
مَا بَينَ جَفْنَيْنِ شُقَّ هُدْبُهُمَا ... عَن كَحَلٍ فِيهِ زُرْقَةُ الكُحْلِ

(١) شنشنة : عادة .

زُهَيْرَةٌ كُلُّ مَنْ يُلاحِظُهَا ... تَرُوعُهُ بِالزُّهُورِ وَاللُّطْفِ(١)

يُشْعِرُكَ الطَّرْفُ وَهْيَ قَاصِيَةٌ ... بِطِيبِ مَا خَبَّأَتْ مِنَ الْعَرْفِ(٢)

رَاوَدَنِي الطِّفْلُ حِينَ أَبْصَرَهَا ... عَنْهَا بِمَا لِلصِّغَارِ مِنْ حِيَلِ

مُطَوِّقًا فِي الْتِمَاسِهَا عُنُقِي ... وَسَامِحًا مَا أَشَاءُ بِالْقُبَلِ

فَاسْتَلَّهَا مِنْ مَكَانِهَا وَأَنَا ... أَدْفَعُهُ دَفْعَ مَنْ يُرَغِّبُهُ

كَمْ مِنْ حَبِيبٍ، وَأَنْتَ تُبْعِدُهُ، ... تَصُدُّهُ صَدَّ مَنْ يُقَرِّبُهُ

مِن ذَلِكَ الطِّفْلُ؟ صُورَةٌ بَلَغَتْ ... بِهَا الْعِنَايَاتُ غَايَةَ الْحُسْنِ

فَظُنَّ مَا حُسْنُ أُمِّهِ وَلَقَدْ ... أَقُولُ بَالِغْ مَا شِئْتَ بِالظَّنِّ

أَعْطَيْتُهُ زَهْرَتِي فَقَبَّلَهَا ... هُنَيْهَةً مُحْسِنًا سِيَاسَتَهُ

حَتَّى إِذَا مَا قَضَى لُبَانَتَهُ ... وَكَادَ يُبْدِي لَهَا شَرَاسَتَهُ

تَوَثَّبَتْ أُمُّهُ ، وَقَدْ لَمَحَتْ ... مَا كَانَ مِنْهُ ، خَفِيفَةَ الْقَدَمِ

وَارْتَجَعَتْهَا مِنْهُ مُبَالِغَةً ... لَدَيْهِ بِالتَّرْضِيَاتِ فِي الْكَلِمِ

فَرَوَّتِ الْعَيْنَ مِنْ مَحَاسِنِهَا ... وَانْتَشَقَتْ عِطْرَهَا عَلَى مَهَلِ

---

(١) الزهور : الإشراق .

(٢) العرف : الرائحة الزكية .

ثــــمَّ أَعَادَتْ إلـــــىَّ ضَائِعَتِى   مُوَرَّدًا وَجْهُهَا مِنَ الخَجَلِ
أأَصْلَحَتْ مِنْ وَلِيـــــدِهَا خَطَأً   ولَيْسَ فِعْلُ الْوَلِيـــــدِ بِالنُّكْرِ ؟
أَمْ أَدْرَكَتْ مَا أُكِنُّ مِنْ شَغَـــفٍ   بِهَا ، فَبَاحَتْ بِأَنَّهَا تَدْرِى ؟
أَمْ سَأَلَتْ جَارَةَ الْفُؤَادِ لِتَسْـ   ـتَطْلِعَ مِنْهَا صَحِيـحَ أَخْبَارِى ؟
ولَيْسَ فِى الْمُنْبِئِينَ أَصْدَقُ مِنْ   جَارٍ بِأَنْبَائِهِ عَنِ الجَارِ
أَمْ شَكَرَتْ لِى ، عَلَى تَظَاهُرِهَا   بِجَهْلِ وَجْدِى، صَبْرِى عَلَى وَجْدِى؟
أَمْ أَشْعَرَتْنِى ، يَالُطْفَ مَا فَعَلَتْ،   بِأَنَّ مَا عِنْدَهَا كَمَـــــا عِنْدِى ؟

٤٠ قــــران

الصديق الكريم الدكتور لويس عوض بك(*)

مَكَانُكَ يَا «لُويسُ» نُهىً وَعِلْمـاً | مكَانٌ غَيْرُ مَجْهُولٍ «بِمــــصْرِ»
بِجِدِّكَ لاَ بِجَدِّكَ وَهْوَ عَالٍ | نَبَغْتَ وَقَدْ بَلَغْتَ أَجَلَّ قَدْرِ
تُدَاوِى الـــدَّاءَ مَهْمَا يَعْصِ طِبًّا | فَلاَ يَعْصِيـــــكَ فِى نَهْيٍ وَأَمْرِ
وَلَسْتَ مُبَالِيـــــاً أَجْراً وَلكِنْ | تَعُودُ مُزَوَّداً أَبَداً بِشُكْرِ
لِيَهْنِئْكَ الْقِرَانُ بِذَاتِ نُبْلٍ | مِنَ الْغِيــدِ الصِّبَاحِ وَذَاتِ طُهْرِ
أَعَزَّ اللهُ «مَرْيَمَ» مِنْ عَرُوسٍ | هِيَ الْحَسْنُ انْجَلَى فِى شَمْسِ خِدْرِ
سَعِدْتَ بِهَا كَمـا سَعِدَتْ فَطِيــبَا | وَعِيـــشَا بِالـرِّفَاءِ مَدِيدَ عُمْرِ(١)

(*) وهو غير الكاتب المشهور.

(١) الرفاء : الوفاق .

٤١ عتـــب

اللغة العربية على أهلها

وقد آثروا عليها اللغـــات الأخـــرى

إنها تستجير بالدكتور طه حسين بك

سَمِعْتُ بأُذْنِ قَلْبِـى صَوْتَ عَتْبٍ   لَهُ رَقْرَاقُ دَمْعٍ مُسْتَهَلِّ
تَقُول لأَهْلِهَا الْفُصْحَى : أَعَدْلٌ   بِرَبِّكُمُ اغْتِرَابِى بَيْنَ أَهْلِى ؟
أَلَسْتُ أَنَا الَّتـــِى بِدَمِى وَرُوحِى   غَذَتْ مِنْهُمْ وأَنْمَتْ كُلَّ طِفْلِ ؟
أَنَا الْعَرَبِيَّةُ الْمَشْهُودُ فَضْلِى   أَأَغْدُو الْيومَ، وَالْمَغْمُورُ فَضْلِى ؟
إِذَا مَا الْقَوْمُ بِالـــلُّغَةِ اسْتَخَفُّوا   فَضَاعَتْ، مَا مَصِيـــرُ الْقَومِ؟ قُلْ لِى
وَمَا دَعْوَى اتِّحَادٍ فِى بِلاَدٍ   وَمَا دَعْوَى ذِمَارٍ مُسْتَقِلٍّ ؟(١)

(١) الذمار : ما تجب على الرجل حمايته من دار ووطن .

فَسَادُ الْقَوْلِ فِيـــهِ دَلِيلُ عَجزٍ فَهَلْ مَعَهُ يَكُونُ صَلاَحُ فِعْلِ ؟
بُنَيَّاتِ الْحِمَى أَنْتُنَّ نَسْلــــى فَإِنْ تَنْكِرْنَنِى أَتَكُنَّ نَسْلـــى ؟
وَيَا فِتْيَانَهُ إِنْ أَخْطَأَتْنــــــى مَبَرَّتُكُمْ، فَإِنَّ الــثُّكْلَ ثُكْلــى
يُحَارِبُنِى الأُولَى جَحَدُوا جَمِيلى وَلَمْ تَرْدَعْهُمُ حُرُمَاتُ أَصْلِى
وَفِى الْقُرْآنِ إِعْجَازٌ تَجَلَّتْ حِلاَىَ بِنُورِهِ أَسْنَى تَجَلٍّ
وَلِلْعُلَمَاءِ وَالأُدَبَاءِ فِيــــمَا نَأَتْ غَايَاتُهُ مَهَّدْتُ سُبْلِى
إِذَا مَا كَانَ فِى كَلِمِى صِعَابٌ فَلاَ تَأْخُذْ كَثِيـــرِى بِالأَقَلِّ
وَهَلْ لُغَةٌ قَدِيمــاً أَوْ حَدِيثـــاً تُعَدُّ بِوَفْرَةِ الْحَسَنَاتِ مِثْلِى ؟

فَيَا أُمَّ اللُّغَاتِ عَدَاكِ مِنَّا عُقُوقُ مَسَاءَةٍ وَعُقُوقُ جَهْلِ
لَكِ الْعَوْدُ الْحَمِيدُ فَأَنْتِ شَمْسٌ وَلَمْ يَحْجُبْ شُعَاعَكِ غَيْرُ ظِلِّ
دَعَوْتِ فَهَبَّ مِنْ شَتَّى النَّوَاحِى مَيَامِينٌ أُولُو حَزْمٍ وَنُبْلِ
بِرَأْيٍ فِيــكِ يَكْفُلُ أَنْ تُرَدَّى مُكَرَّمَةً إِلَــى أَسْمَى مَحَــلِّ
يُنَوِّرُ شِعْرُهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ وَيُزْهِرُ نَثْرُهُمْ فِى كُـــلِّ حَقْلِ

وَ «طَهَ» فِى طَلِيــعَةِ مَنْ أَجَابُوا   يُهَيِّئُ نَهْضَةً فِى الْمُسْتَهَلِّ
بِمَوْفُورَيْهِ : مِنْ أَدَبٍ وَفَنٍ   وَمَذْخُورَيْهِ : مِنْ عَقْلٍ وَنَقْلِ
يَفيضُ كَما يَفِـيضُ النِّيلُ خِصْباً   وَيُحْـــيى الحَرْثَ فِى حَزْنٍ وَسَهْلِ(١)
وَيَبْعَثُ فِى شَبَابِ الْعَصْرِ رُوحـاً   هُوَ الـرُّوحُ الَّذى يَبْنِى وَيُعْلِـــى
إِذَا مَا جَاوَلَ الْفُرْسَانَ جَلَّى   وَخَلَّفَ شُقَّةً دُونَ الْمُصَلِّى(١)
فَكَيْفَ بِهِ إِذَا مَا شَنَّ حَرْبــــاً   عَلَى بِدْعِ الـضُّلُولِ أَوِ الْمُضِلِّ ؟

(١) الحزن : الأرض الصعبة .

(٢) جلى : سبق وجاء أولاً . المصلى : من يجئ تالياً .

٤٢ فى تقدم اللغة العربية

والعيب فى الجمود

مَاذَا يُرِيدُ مِنَ الحَقِيقَةِ مُسْقِطٌ   تَكْلِيفَهَا عَنْ نَفْسِهِ بِتَوَهُّمِ
مَاذَا يُرِيدُ مِنَ المَعَالِى نَائِمٌ   وَالنَّجْمُ مُزْدَهِرٌ لِغَيْرِ النُّوَّمِ
لِنَعِشْ مَعَاشَ زَمَانِنَا وَلْنَنْتَهِزْ   فُرَصَ النَّجَاحِ نَفُزْ بِهِ أَوْ نَسْلَمِ
لَنْ تَرْجِعَ العَرَبِيَّةُ الفُصْحَى إِلَى   مَا كَانَ مِنْهَا فِى الزَّمَانِ الأَقْدَمِ
مَا لَمْ يَعُدْ ذَاكَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ   وَالعَادُ وَالأَخْلَاقُ حَتَّى جُرْهُمُ
لِلْجَاهِلِىِّ لِسَانُهُ ، وَمَنِ الَّذِى   يَنْفِى مِنَ الفُصْحَى لِسَانَ مُخَضْرَمِ ؟
إِنَّ التَّجَدُّدَ لِلِّسَانِ حَيَاتُهُ   وَمَنِ الَّذِى يُحْيِيهِ غَيْرُ المُقْدِمِ ؟
فِى عَصْرِنَا لِلضَّادِ فَتْحٌ بَاهِرٌ   زِيدَتْ بِهِ فَخْراً، فَهَلْ مِنْ مَأْثَمِ؟
مَنْ فَرَقَ الأَخَوَيْنَ يَسْتَبِقَانِ مِنْ   طُرُقٍ لِرِفْعَتِهَا، أَلَيْسَ بِمُجْرِمِ ؟

٤٣ آفات الضغائن

قَدْ شَتَّتَ الضَّغَنُ الْمُفَرِّقُ بَيْنَكُمْ   شَمْلاً كَأَمْتَنِ مَا يَكُونُ جَمِيعاً
أَيَضِيعُ مَجْدٌ لِلْكِنَانَةِ لَمْ يَكُنْ،   لَوْلاَ التَّفَرُّقُ بَيْنَكُمْ، لِيَضِيعَا ؟
وَطَنٌ تَحَلَّلْتُم بِبَخْسٍ بَيْعَهُ،   اللهَ فِي وَطَنٍ بِبَخْسٍ بِيعَا !

٤٤ مبايعة شوقى

أنشدت فى المهرجان الكبير الذى أقيم فى دار الأوبرا الملكية
تكريماً له فى عام ١٩٢٧

قَبَسٌ بَدَا مِنْ جَانِبِ الصَّحْرَاءِ ... هَلْ عَادَ عَهْدُ الْوَحْيِ فِي سِينَاءِ؟(١)
أرنُو إلى الطُّورِ الأشَمِّ فَأَجْتَلِي ... إيمَاضَ بَرْقٍ وَاضِحَ الإيمَاءِ
حَيْثُ الْغَمَامَةُ وَالْكَلِيمُ مُرَوَّعٌ ... أرْسَتْ وَقُوراً أَيَّمَا إرْسَاءِ
دَكْنَاءُ مُثْقَلَةُ الْجَوَانِبِ رَهْبَةً ... مَكْظُومَةُ النِّيرَانِ فِي الأَحْشَاءِ
حَتَّى تَكَلَّمَ رَبُّهَا فَتَمَزَّقَتْ ... بَيْنَ الصَّوَاعِبِ فِي سَنًى وَسَنَاءِ
وَتَنَزَّلَتْ أَحْكَامُهُ فِي لَوْحِهَا ... مَكْتُوبَةً آيَاتُهَا بِضِيَاءِ
أَتُرَى الْعِنَايَةَ، بَعْدَ لأْيٍ ، هَيَّأَتْ ... لِلشَّرْقِ مَنْجَاةً مِنَ الْغَمَّاءِ ؟

(١) إشارة إلى تعيين الحكومة شوقى عضواً فى مجلس الشيوخ عن دائرة سيناء .

أَلـــشَّاعِرِيَّةُ لاَ تَزَالُ كَعَهْدِهَا ، بَعْدَ الـــنُّبُوَّةِ ، مَهْبِطَ الإِيـــحَاءِ
وَالصَّوْتُ إِنْ تَدْعُ الْحَقِيقَةُ صَوْتَهَا وَالـــنُّورُ نُورُ خَيَالِهَا الْوَضَّاءِ

❁

يَا شَيْخَ «سِينَاءَ» الَّتِى بُعِثَ الْهُدَى مِنْ تِـيهِـــــهَا فِى آيَةٍ غَرَّاءِ
سَتَرَى وَأَنْتَ مُعَرِّبٌ عَنْ حَقِّهَا كَيْفَ المَـــوَاتُ يَفُوزُ بِالأَحْيَاءِ
حَسْبُ القَرِيضِ زِرَايَةً فَـــاثْأَر لَهُ وَارْفَعْ بِنَاءَكَ فَوْقَ كُلِّ بِنَاءِ
إِنَّ الـتَّوَاكُلَ وَالتَّخَاذُلَ وَالـقِلَى لأَقَلُّ مَا جَلَبَتْ مِنَ الأَرْزَاءِ
وَتَنَزُّلِ الأَقْوَامِ عَنْ أَخْطَارِهَا وَتَعَسُّفِ الحُكَّامِ وَالـــكُبَرَاءِ
أَبْنَاءُ «يَعْرُبَ» فِى أَسىً مِنْ حِقْبَةٍ شَقِيَتْ بِهَا الآدَابُ جِدَّ شَقَاءِ
جَنَفَ البُغَاةُ بِهَا عَلَى أَهْلِ النُّهَى وَاسْتُعْبِدَ الـــعُلَمَاءُ لِلْجُهَلاَءِ
وَتَخَيَّلَ الـــسَّادَاتُ فِى أَقْوَامِهِمْ شُعَرَاءَهَا ضَرْبـــاً مِنَ الأُجَرَاءِ
وَهُمُ الَّذِيـــنَ تَنَاشَدُوا أَقْوَالَهُمْ لِلْفَخْرِ آوِنَةً وَلِلــــــــتَّأْسَاءِ
وَبِفَضْلِهِمْ غُذِيَتْ غِرَاثُ عُقُولِهِمْ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ أَلَذَّ غِذَاءِ[1]

---

(١) الغراث : جمع غرثان ، وهو الجائع .

وَبِنَفْحَةٍ مِنْهُمْ غَدَتْ أَسْمَاؤُهُمْ   مِنْ خَالِدَاتِ الـذِّكْرِ فِى الأَسْمَاءِ
أَصْلِحْ بِهِمْ رَأْىَ الأُولَى خَالُوهُمُ   آلاَتِ تَهْنِئَةٍ لَهُمْ وَعَزَاءِ
وَلْتَشْهَدِ الأَوْطَانُ مَا حَسَنَاتُهُمْ   فِى الْمَنْصِبِ الْعَالِى وَفِى الإِثْرَاءِ
وَلْتَعْلَمِ الأَيَّامُ مَا هُوَ شَأْنُهُمْ   فِى كُلِّ مَوْقِفِ عِزَّةٍ وَإِبَاءِ

❁

يَا بَاعِثَ الْمَجْدِ الْقَدِيمِ بِشِعْرِهِ   وَمُجَدِّدَ الْعَرَبِيَّةِ الْعَرْبَاءِ
أَنْتَ الأَمِيرُ وَمَنْ يَكُنْهُ بِالْحِجَى   فَلَهُ بِهِ تِيهٌ عَلَى الأُمَرَاءِ
أَلْيَوْمَ عِيدُكَ وَهْوَ عِيدٌ شَامِلٌ   لِلضَّادِ فِى مُتَبَايِنِ الأَرْجَاءِ
فِى «مِصرَ» يُنْشِدُ مِنْ بَنِيهَا مُنْشِدٌ   وَصَدَاهُ فِى «الْبَحْرَيْنِ وَالزَّوْرَاءِ»
عِيدٌ بِهِ اتَّحَدَتْ قُلُوبُ شُعُوبِهَا،   وَلَقَدْ تَكُونُ كَثِيرَةَ الأَهْوَاءِ
كَمْ رِيمَ تَجْدِيدٌ لِغَابِرِ مَجْدِهَا   فَجَنَى عَلَيْهِ تَشَعُّبُ الآرَاءِ ؟
مَا أَبْهَجَ الشَّمْسَ لاَحَتْ لَهَا   بَعْدَ الْقُنُوطِ ، وَطَالَعَتْ بِرَجَاءِ
أَلشِّعْرُ أَدْنَى غَايَةً لَمْ يَسْتَطِعْ   إِدْنَاءَهَا عَزْمٌ وَحُسْنُ بَلاَءِ
مَا السِّحْرُ إِلاَّ شِعْرُ «أَحْمَدَ» مَالِكاً   مِنْهَا الْقِيَادَ بِلُطْفِ الإِسْتِهْوَاءِ

قَدْ هَيَّأَتْ آيَاتُهُ لِـوُفُـــــــودِهَا فِي «مِصْرَ» عَنْ أَمَمٍ أَحَبَّ لِقَاءِ(1)

لاَ يُوقِظُ الأَقْوَامَ إِلاَّ مُنْشِدٌ غَرِدٌ يُنَبِّهُ نَائِـــــــمَ الأَصْدَاءِ

كَلاَّ وَلَيْسَ لَهَـــا فَخَارٌ خَالِصٌ كَفَخَارِهَا بِنَوَابِغِ الـــــشُّعَرَاءِ

يَا «مِصْرُ» بَاهِي كُلَّ مِصْرٍ بالأُولَى أَنْجَبْتِ مِنْ أَبْنَائِكِ الْعُظَمَاءِ

---

(1) أمم : قرب .

٤٥ ترجمة

من لافونتين

مَا بَيْنَ لُصُوصٍ ولُصُوصٍ فَرْقٌ فِى الأَعْلَى وَالأَدْنَى
لِصـــغَارِهُم المَوتُ المُزْرِى وكِبَارِهِمُ الـــشَّرَفُ الأَسْنَى

٤٦ تمثال سعد

رأى فى صنعة التمثال

أَلْقُوا الحِجَابَ وَأَبْرِزُوا الـتِّمْثَالاَ أَتَرَوْنَ سَعْداً، أَمْ تَرَوْنَ خَيَالاَ؟
إِمَّا أَنَافَ بِطَيْفِهِ بَعْدَ الـــرَّدَى فــكَمَا أَنَافَ مَدَى الحَيَاةِ وَطَالاَ
أَثَرٌ مِنَ الـــعَيْنِ اسْتَعَارَ حَيَاتَهُ وَأَعَارَ فَضْلَ حَيَاتِهَا الأَجْيَالاَ
إِنْ تَرْتَعُوا فِى نِعْمَةِ اسْتِقْلاَلِكُمْ فَتَذَكَّرُوا مَنْ شَادَ الاسْتِقْلاَلاَ
وَتَحَمَّلَتْ آلاَمُهُ آمَالَكُمْ ، هَلْ حَقَّقَتْ آلاَمُهُ الآمَالاَ ؟
تُبْدِى لَكُمْ فــى بَارِزَاتِ غُضُونِهِ كُرَبــاً تَحـــمَّلــهَا وَكُنَّ ثِقَالاَ
تِلْكَ السُّنُونَ وَمُضْنِيَاتُ هُمُومِهَا أَلْــقَيْنَ حَــوْلَ الْمُقْلَتَيْنِ ظِــلاَلاَ

٤٧ البنفسجة

الحسْنُ كُلُّ الحُسْنِ فِى الطَّبِيعَةَ أُنْظُرْ إِلى آيَتِهَا البَدِيعَهْ
مَاذَا تَقُولُ الزَّهْرَةُ الوَدِيعَهْ ؟
أَمَالَى العَذْبَةُ وَالآلامُ وَيَقَظَاتُ العَيْشِ وَالأَحْلاَمُ
مِنْ كُلِّ مَا تُدَاوِلُ الأَيَّامُ
أَبُثُّهَا بِنَفَحَاتِ طِيبِى إِلى البَعِيدِ وَإِلى القَرِيبِ
خَالِصَةً مِنْ رِيبةِ المُرِيبِ
وَأَمْنَحُ الأَبْصَارَ مِنْ رُوَائِى مَا فِيهِ قُرَّةٌ لِعَيْنِ الرَّائِى
بِلاَ مُدَاجَاةٍ وَلاَ رِيَاءِ
صُنْتُ جَمَالِى وَبَذَلْتُ عِطْرِى وَذَاكَ للهِ الكَرِيمِ شُكْرِى
فَإِنْ يَكُنْ شِعْرٌ فَهَذَا شِعْرِى

٤٨ الشاعر

يوقع على وتره الاخير

لحن الرضى وسكينة النفس

مَاذَا يُرِيــدُ الــشِّعْرُ مِنِّي ؟ أَخنَى عَلَيْهِ عُلُوُّ سِنِّى !
هَلْ كَانَ مَا ذَهَبَتْ بِهِ الأَ يَّامُ مِنْ أَدَبِى وَفَنِّى ؟
أَحْسَنْتُ ظَنِّى ، والــلَّيَا لِى لَمْ تُوَافِقْ حُسْنَ ظَنِّى
وَرَجَعْتُ مِنْ سُوقٍ عَرَضْـ ـتُ بِضَاعَتِى فِيــهَا بِغَبْنِ
أَفَكَانَ ذَلِكَ ذَنْبَهَا أَمْ كَانَ ذَنْبِى ؟ لاَ تَسَلْنِى
خَمَدَتْ بِىَ الــنَّارُ الَّتِــى رَفَعَتْ بِعَيْنِ الــعَصْرِ شَأْنِى
هِىَ شُعْلَةٌ كَانَتْ تُثِـ ـيــرُ قَرِيحَتِى وَتُنِيــرُ ذِهْنِى
أَيَّامَ لِى طَرَبٌ وقَلْـ ـبِى مَوْقِعُ الــسَّهْمِ الْمُرِنِّ

لاَ تَنْدُبنِّــــــى لِلـــــــعَطَا   ئـــم بَعْدَهَـــا ، لاَ تَنْدُبنِّــــى !

يَا مَـــــنْ يُحَمِّلُنــــــى تكَا   لِيـفَ الـشَّبَابِ ارْفُـقْ بِوَهْنِــى

زَمَنِــــى تَوَلَّــــى وَالأُولَــــى   عَمَرُوهُ مِـنْ صَحْبِـى ، فَدَعْنِـى

وَلَّى الـــــرَّبِيـــــعُ وَجَفَّ عُو   دِى وَانْقَضَى عَهْـــدُ الـــتَّغَنِّى

وَعَدِمْتُ لَــــذَّاتِ الـــــرُّؤَى   وَعَدِمْتُ لَذَّاتِ الـــــتَّمَنِّــــــى

إنِّى خَتَمْتُ الـــــــعَيْشَ فِى   وَادِى المخيِـلَةِ ، أَوْ كَأَنِّـــى[1]

فَإذَا بَـــــدَتْ لَــــكَ هِمَّــــةٌ   مِنْ دَائِـبٍ يَشْقَــى وَيَبْنِــى ،

فَعَذِيـــــرُهُ خَوْفُ الــــــتَّشَـ   ـبُّـــهِ بِالـرَّحَى مِنْ غَيْرِ طِحْنِ

وَيَكُدُّ كَــــــدَّ الـــــنَّحْلِ وَهْـ   ـــــى لِغَيْرِهَا تَسْعَى وَتَجْنِى

أَرْضَى بِأَنْ تـــــــقْضَى مُنًى   لِلآخَرِيــــــــــنَ وَإِنْ عَدَتْنِى

أُخْلِى مكَانـــــــِىَ لِلَّــــــذِى   يَسْمُو إِلَيـــــــهِ بِغَيْـرِ حُزْنِ

ولــقَــــــــــد أَهَشُّ لِمَنْ يُطَا   وِلُنِى وَإِنْ يَكُ تَحْتَ ضِبـــنِى[2]

إِنَّ الحَقِيـــــــــقَةَ، حِينَ نَبْـ   ـــــلُغُهَا، لَتَكْفِيـــــنَا وَتُغْنِى

---

(١) المخيلة : الظن ، يريد : التوهم والتخيل .

(٢) الضبن : ما بين الكشح والإبط ، يريد بمن تحت ضبنه من هو دونه متقاصر عنه .

فِيهَا الجَلاَلُ بِكُلِّ مَعْـ ـنَاهُ، وَفِيهَا كُلُّ حُسْنِ
تَتَشَابَهُ التَّرِكَاتُ فِى أَنَّا نُعِدُّ لَهَا وَنَقْنِى(١)
فَإِذَا تَوَلَّيْنَا فَهَل أَسْمَاؤنَا مِنَّا سَتُغْنِى ؟
إِنْ نَبْقَ وَالأَرْوَاحُ قَدْ ذَهَبَتْ، فَمَا الأَسْمَاءُ تَعْنِى ؟
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِى الذِّكْرِ لِلْـ أَعْقَابِ نَفْعٌ لَمْ يَشُقْنِى
أَمَّا الجَزَاءُ فَإِنَّى اسْتَـ ـتَوْفَيْتُ مِنْهُ فَوْقَ وَزْنِى
فِى الحَاضِرِ اسْتَسْلَفْتُ مَا سَيَقُولُهُ التَّالُونَ عَنِّى(٢)

---

(١) نقنى : نحفظ وندخر .

(٢) استسلفته : استقدمته ونلته فى الحاضر .

الفهرس

رقـم الإيـــداع ١١٢٢٠ / ٩٩

الترقيم الدولى S.B.N 977-01-6385-6



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل ـ للشاب. للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة
مهرجان القراءة للجميع 1999

١٢٥ قرشاً

مهرجان القراءة للجميع
للطفل . للشاب . للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة